حوار مع الأقمار

علي محمد العيسى

1446 هـ
2025 م

بسم الله الرحمن الرحيم
أمّا قبل .. وأما بعد

حقوق الطباعة والنشر لكل ما كتبت شعراً ونثراً مشاعة لمن يريد يحدث نفعاً للشيء والمجتمع.

المثاقفة تبادل المعارف والمعلومات الفكرية والأدبية شعرية ونثرية، وهي هنا في مجالات التربية ورحاب المجتمع، بكل أبعاد التطور والرقي والازدهار، ,, وكل يغني على ليلاه ,, ووسائل التواصل المتعددة اخترت الآن لمبرات اخترت الـ PDF لدوافع وصوانع لسهولة المواصلات.

وانتقيت من أتوسم فيهم كنخبة الأخذ برفده بيد المجتمع وناشئته إلى ما تصبو إليه الريادة الرائدة.

ولأني بلا اختيال ولا احتيال، ولا أزكي نفسي على الله - واسع الرفد، رحب الصدر، أقدّر عذر المعتذر فأحب من يقول لي: شكرا، وعذرا لا أرغب في استمرار إرسال المواد الثقافية إليّ، لسبب بسيط، هو أنه ليس لديّ وقت فراغ، فرحاً على وقتي وصولي وهوايتي، وحرصا على وقتك وجهدك - أنفي عني - لا داعي للاستمرار في إرسال ما ترسله إليّ، مع التحية.

وشكرا من قلب محب، وسأتوقف برضا تام.

وشاكرا - من قبلي - على الأريحية، ورفع الأخوية النقية

مع التحية من
علي الهيصي

بسم الله الرحمن الرحيم

1447
2025

إيضاح .. يمنحني مزيداً من الارتياح

مؤلفاتي المتواضعة، نفدت - غالبا - من مكتبات البيع، والبديل عندي لتصل إلى الباحثين والدارسين والناقدين أنه أدونها في ملفات الـ PDF

لتصل - ما أمكن - إلى من قد يجد لها نفعا للتربية والمجتمع والفكر والشعر، ربما، وللمشتغل بحقل نشرها.

وقد أخذت الكتب تسلسلا من 31 إلى 50 في PDF.

وهي لمن يرغب في الاطلاع والقراءة والمناقشة والحوار الذي غالبا ما يولد ثمرة من نتائج مفيدة في القبول والرفض.

• والحوار جادة للصواب بالعبارة إلى الرقي والازدهار ونقي الحضارة، بعد الوقوف المتعمق في مختلف السلبيات والإيجابيات. التي تقيم مفاهيم الحضارات.

والله الموفق لخير العمل وحمل الخير؟

• ويكيبيديا على حمد العيسى، لأخذ فكرة ومعلومات عن المؤلف.

مع تحيات
علي العيسى

علي محمد العيسى

علي محمد العيسى

حوار.. مع الأفكار

علي محمد العيسى

حوار مع الأفكار

حوار.. مع الأفكار

يطلب هذا الكتاب
من مؤسسة الجريسي للتوزيع

هاتف : ٤٠٢٢٥٦٤
ص.ب : ١٤٠٥
الرياض : ١١٤٣١

١٤١٠هـ ـــ ١٩٩٠م

السلام عليكم

ما قـرأ من تصـــفّح ،
وقراءة بتدبُّر وتفكر فيمـــا
بين الســـــطور وما وراءهـــا
تعني قراءة أكثر من كتاب
في كتـــاب واحـــد .

دخل هذا الكتاب ــ مع محدوديته الحادة ومقداره الضئيل ــ متبرع به من أجل الرمز والدعوة والإحساس بالمشاركة لجمعية رعاية الأطفال المعوقين الخيرية:

عنوانها: ص.ب: ٨٥٥٧
الرياض: ١١٤٩٢

هواتف: ٤٥٤٣٩١٣
٤٥٤٣٩١٧

﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ (النحل: ٧٥).

فاسبقونا ياأهل الدثور بالأجور فذلك من الفوز العظيم، ومجالات البر والخير كثيرة ومنتظِرة، ولكل حسنة عند الله أجرها، ولرب قليل هو عند الله كثير.

المحتوى

الموضوع	الصفحة
١ ــ توطئة للحوار	٩
• الاحتفاء... احتفال أم اتباع!	١٥
• هل... وهل ثم هل... حول نعل	٤١
• الأناشيد الإسلامية	٧١
• وعلى العموم	١٠١
• الأهم... فالمهم	١١١
• الأولويات	١٢٣
• الجوهر والهامشيات	١٣١
• انعكاسات مقوّسة	١٤٣
• «المثقفون والبحث عن مسار»	١٥١
• حوار مع الأفكار... باختصار	١٧٧
• المنهج والمضمون	١٨٧
• لوازم الآن	١٩٦
• قطوف من حروف	١٩٩

توطئة للحوار:

تكثر في عصرنا الكتب، كما تكثر الصحف والمجلات لعدة عوامل وأسباب، ولا يتيسر للقاريء الراغب أن يقرأ كل شيء، وإنما ينتقي فيدرك بعضاً بمقدار تحصيله، ولا يَحُصُل على البعض الآخر.

وقد يقرأ موضوعاً فيجد له من المبررات ما يستحسنها أو بعضها أو معظمها، ثم يقرأ موضوعاً آخر معاكساً، فيجد له من المبررات ما يدنو من اقتناعه، فيجد موقف الحيرة الذي يتطلب أمراً ما.

هذا «الأمر الموصوف بما» هو في ظني ــ والمرجو ألاّ يكون من البعض الآثم ــ هو النقاش طرح الفكرة للحوار، والمحاكمات العقلية، والسؤال والجواب والمحاجّه والأخذ والرد، وهو أقرب سبيل للوصول إلى الحقيقة التي هي غاية الباحثين والمتحاورين إذا حسنت النيات، وطابت الأهداف، وصدق المراد في نبله وطهره، وارتقى المستوى، وهذا ما شجعني كرأى في من أحاور آراءهم وأفكارهم، حيث أن انطباع الذهن لدى

عنهم أن الصواب ضالتهم كما هو أيضاً ضالتي وضالة القارىء، نبحث جميعاً عنه وننشده، ولا نحيد بإذن الله عن سبيله، وإن لم يجزم أي منا بمن خرج عنه عن حسن نية وطوية معتقداً أنه معه، وبمن أمسك به وشبك أصابعه بأصابعه فاصطحبه في اتجاه واحد، واني لاستوحي هذا المنطق من قوله ﷺ «**الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت**»[1] رواه ابن حبان.

كما أني أرى الإخوة ــ وواضح من أعنيهم ــ أهل أهداف سامية مع نبل رفيع المستوى، يقبلون بتواضع الإصابة، ويعفون عن الزله ــ بقدر طاقة البشر الأخيار الذين لحياتهم مدلول قد اتضح لهم مراده ــ.

وأحس بالتفاوت في أن مواطن أخطاء الآخرين ــ في نظري ــ تكون أبرز وأوضح وآكد في موضع أكثر من موضع آخر، وذلك مثل الموضوع الذي عنونته بأداة استفهام مكررة، وأخطائي أو أخطاء الآخرين تختلف في أحجامها، وآثارها، ودوافعها.

---

(١) منهاج الصالحين، لعز الدين بليق، رقم ١٥٧٦ ص ٩٠٠.

لذا برغبة طالب العلم أحاور أقوالهم، وأهدي كتابي إليهم، آملاً أن يكوِّن الحوار وسيلة نقل وواسطة إبحار إلى نقطة النهاية المطلوبة في البحث، والرسو عند الميناء ضروري للسفينة المبحرة.

والأمل ــ وهو كما سمعت: وجبة خفيفة لكنها مشبِعة ــ الأمل في الإلتقاء عند الملتقى الموحد، ليتحقق القصد بالتطابق والإيجاب أو بالتفاهم ومعرفة المنطلقات والمناخات والأبعاد، فيحصل التثقيف المفيد للجميع، ويبقى الودّ وهو ما لن أُفرِّط فيه مع الأخوة ما استطعت. وإن منهم من يعرفني وأعرفه، وأعتز بمعرفته، ومعرفة الجميع.

وما التوفيق إلاّ بيد البصير السميع.

الاحتفاء .. احتفال أم ابتاع

الاحتفاء.. احتفال أم اتباع:

١

قرأت الموضوع الذي كتبه الدكتور /محمد عبده يماني في يوميات البلاد العدد ٨١١١ في ١١ ربيع الأول ١٤٠٦هـ بعنوان «فلنحتف برسول الله ﷺ» وفي محاولة لفهم المراد استوقفني العنوان باحثاً عن المراد بكلمة «فلنحتف»، وقلت بيني وبين نفسي: ان كان المراد بالاحتفاء الاتباع: طاعة الأوامر، واجتناب النواهي، والبعد عن الشبهات فلا أعتقد أن الأمر موضع خلاف بين المسلمين، وها هي مقالة الأخ الكريم تحث من أولها إلى آخرها على الاتباع.

وإن كان المراد بالاحتفاء محبة رسول الله ﷺ والصلاة عليه والاستزادة منهما على مدار العام وكل عام، فلا أعتقد بوجود خلاف حول ذلك بين المسلمين أيضاً، لأن دعاة الاتباع يعلمون

أن محبة رسول الله ﷺ والصلاة عليه من مستلزمات الاتباع ومما نص عليه ليتبع.

وإن كان المراد بالاحتفاء الاحتفال بالمولد وإقامة الذكرى فهذا موضع التوقف واختلاف الآراء، لأن الاحتفال بالمولد لم يرد في المصدرين الأساسيين للتشريع: القرآن الكريم والسنة المطهرة ولم يفعله السلف الراشد؛ فهو إذا ابتداع وليس باتباع. ولأن الذكرى قد تقام لمن ينسى أو لغرض سياسي أو إداري أو اجتماعي أو اقتصادي أو ما إلى ذلك.

وليس لأمرٍ هو ضمن صلب العقيدة الدينية مما لابد أن يتقيد بنصوصها وتعاليمها، ومحمد ﷺ على السنة المسلمين صباح مساء، وما تخصيص ليلة المولد بالاحتفاء إلا للتكفير والشعور بوجوده لدى من أحسّ في شان الاتباع بالتقصير، والأولى بالمقصرين في الاتباع السعي والحث على التغلب على التقصير أو الإبقاء على الشعور بعدم البحث عن وهم التكفير الذي ينهي وخر الضمير الموجد لأمل اليقظة وادراك الاتباع والسير في الوجهة الصحيحة.

ولقد رجعت إلى المنجد ص ١٤٢ الطبعة الثالثة والعشرين فوجدت أن أقرب معاني الاحتفاء هو: المبالغة في التكريم

وإظهار الفرح ولم أجد في الأدلة التي أوردها أخونا الكريم إلا التركيز والتأكيد على أمرين:

١ ــ الاتباع، وهو مضاد للابتداع.

٢ ــ محبة رسول الله ﷺ والصلاة عليه.

وهما أمران لا اختلاف عليهما، ومنطلق من يرون بدعية المولد هما الاتباع والتمسك الشديد به، ومحبة رسول الله والصلاة عليه تلك المحبة المتمثلة بصدق في مسألة اتباعه قولاً وعملاً ومسلكاً وتقريراً.

وإذا أوردوا أدلة إنما يوردون ما استدل به الأخ الكريم في مقالته هذه ومقالته التي للعقلاء فقط في مجلة اقرأ العدد ٥٤٨ في ١٦ /٣ /١٤٠٦هـ التي عنوانها: «الذين أحبوا رسول الله ﷺ» وما أعظم مواقفهم في الجهاد رضوان الله عليهم وحبهم لرسول الله ﷺ واتباعه. ومواقف مثل مواقف أبي دجانة وأبي طلحة الانصاري وأم عمارة لا تنسى. لكن هل من بقى حياً ممن وردت أسماؤهم وغيرهم بعد رسول الله ﷺ أقام له أربعينية أو ذكرى سنوية؟!

هنا موضع التساؤل، وهنا محور الحديث، وهنا مربط الفرس، وزبدة القول في موضوع الموضوع ومجال الحوار.

ويقول الأخ الكريم عن آية ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ (آل عمران: ٣٢) ومن هنا تأتي أهمية الاحتفاء بسيدنا محمد ﷺ وطاعته والسير على هديه واقتفاء سنته في كل أقوالنا وأفعالنا.

وما ورد بعد قوله «بسيدنا محمد ﷺ» يفهم بجلاء ونص ووضوح من الآية، لكن ما قبل ذلك وهو الاحتفاء ليس في الآية ما يدل عليه، وخاصة إذا كان يعني بالإحتفاء الاحتفال بمولده، ولا أعلم هل سبقه أحد من المفسرين فقال إن مما تعنيه الآية الاحتفاء بمعنى الاحتفال بمولده، أما إن أراد بالاحتفاء الاهتمام بالسنة والاتباع فالمفروض الإيضاح خشية اللبس وتخبط الناس في الاتهام بسبب الإيهام والإبهام ولعلماء السلف مواقف حرص وتورُّع وتخوف من التفسير خشية ما ينجم عن ذلك، أو اعتساف معان لا تفهم من النص.

إن منهجية البحث تتطلب أول ما تتطلب الوضوح التام في الاصطلاحات والمراد حتى دعا الأمر بعضهم إلى وضع قاموس للمصطلحات في الكتب والمقالات.

وعبارة الأخ الكريم «والاحتفاء به ﷺ في هذه الأيام ضرورة» إن كانت تعني الإحتفال فلا... وإن كانت تعني الاهتمام بسنته واتباعه ومحبته باقتفاء أثره وترسم خطاه والصلاة والسلام

عليه والإكثار منهما بدون نسيان يتطلب ذكرى سنوية فما أورع ما دعوت إليه ولا أعتقد أن مسلماً رشيداً سوف يخالفك الرأي.

وجميل من أخينا الكريم التحذير من الفتن والغزو الفكري الذي أول ما يستهدف صرف الناس عن السنة الصحيحة الراشدة.

ودعنا نحاول أن نرسم الخطوط المبدئية لخطة إسلامية تواجه ذلك فنقول في نقاط قابلة للتعديل والتبديل والإضافة والحذف إن وجد عليها مأخذ:

١ ــ الأخذ بمبدأ «الاتباع لا الابتداع».

٢ ــ أن نحب رسول الله ﷺ ــ ونحن نحبه جميعاً فعلاً ــ محبة لا يفوقها إلا محبتنا لخالقه جل وعلا.

وأبرز مظاهر محبته اتباعه والصلاة والسلام عليه والغيرة عندما يخالف شرعه أي أن نحب رسول الله ﷺ محبة تفوق محبة النفس والأهل والولد والمال والوطن والقوم وكل ما سوى ذلك مما خلق الله.

٣ ــ أن نكثر من الصلاة والسلام عليه في كل حين وأن نهتم أكثر بجهاده ومعاملاته وأخلاقه وأحكامه وارشاداته أكثر من الاهتمام الصوفي المتدروش بشعره

ونعله ونخامته ﷺ.

٤ ــ أن نوصد الأبواب أمام الشبهات ومواضع الخلافات ولواقح الفتن، خاصة ما يرفضه البعض ولا يرى البعض الآخر مشروعيته وإنما فقط استحسانه، وينتفي الحسن بمظنة خلق الشر والفتنة والفرقة، وما قد يصحب المستحسن من مواطن زلل وخلل، «دع ما يريبك إلا ما لا يريبك».

٥ ــ أن نركز جهودنا على القيام بأداء الواجبات التي نشعر بتقصير في أدائها، فإذا كملت ــ افتراضاً ــ ولو نسبياً ــ والكمال لله.... صرفنا جهدنا ووقتنا الفائض إلى المستحسنات والمكملات. لكن الانشغال عن الفرض بالنافلة خلل في ترتيب الأهميات.

ويقول الأخ الكريم استطراداً لقوله السابق «وبما لحق الأمة من نقص في محبة رسول الله ﷺ» ناسباً معنى القول إلى غيره.. ثم ذكر قولاً للدكتور خليل ملا خاطر تبينت بدايته ولم تظهر نهايته في المقالة، ومنه قوله «أضف إلى ذلك ما حصل في كثير من المجتمعات الإسلامية وعلى مختلف المستويات ــ نتيجة التأثرات الطارئة الوافدة ــ من نقص في محبة هذا النبي الكريم عليه وآله الصلاة والسلام.

هذا النقص أو الضعف قد ظهر جلياً في تخلي أو ابتعاد كثير من الناشئة في بلاد المسلمين عن دينهم، وبالمقارنة بين هذا الجيل وسابقيه وبين عصر السلف يظهر الفارق جلياً للأنظار».

إن نقص المحبة يمكن أن يأتي نتيجة لضعف الاتباع، وليس العكس، لأن المحبة فرع من الاتباع، والنظرية التي عرضت وأريد بها الاحتفاء وليس الحث على الاتباع كسبيل لتقوية المحبة تعتبر كنظرية وضع العربة أمام الحصان.

والمحبة الصادقة القوية الوثيقة هي التي تنجم عن صدق الاتباع والحرص عليه، والسلف لم يحتفل بمولد رسول الله ﷺ ولكنه أكثر من الخلف محبة واتباعاً وصلاة وسلاماً عليه ﷺ لذا فمن أراد الاستزادة من محبة رسول الله فعليه بالاتباع ولا شيء سواه.

ونظرية «... إذ حب صاحب الرسالة هو الحامل على اعتناقها والذود عنها وحملها وتبليغها...» الخ.

ترد عليها مقالة الأخ الكريم ذاته في جريدة الشرق الأوسط العدد «٢٥٥٣» في ١٢ ربيع الأول ١٤٠٦هـ بعنوان «تذوقوا

حلاوة محبة رسول الله ﷺ» حيث مما قال «... وقد اجتمعوا يوماً في ناديهم يتشاورون في أمره ﷺ وقدم عليهم النضر بن الحارث وكان داهية وذا مكانة وعلى علم بالأخبار وبواطن الأمور فقال يخاطب قريشاً: «يامعشر قريش لقد أعياكم أمر محمد، وعجزتم عن أن تدبروا فيه رأياً لما أصابكم به، لقد نشأ فيكم محمد حتى مبلغ الرجال، وكان أحب الناس إليكم وأصدقهم فيكم واتخذتموه أميناً...» الخ.

أليس في هذا دليل على أن المحبة لا توجد الاتباع بالضرورة ولا تحمل على اعتناق الرسالة؟! اللهم إلا إذا طغت العصبية وهانت المباديء والعقيدة، وأن اختلاف العقيدة والرسالة المعتنقة قد يحول المحبة ويصرف عنها.

فمحبة قريش للنبي ﷺ لم تحملهم على اعتناق رسالته فضلاً عن الذود عنها وحملها وتبليغها.

ومحبة أبي طالب وقرابته لم تدفعه لاعتناق رسالة محمد ﷺ، ومواقف أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة من والده، وسعد بن أبي وقاص من أمه، لم تكن مواقف محبة وعدمها، وإنما مواقف عقيدة أوجدت معاييراً للمحبة وجوداً وعدماً.

إن هذه النظرية خطيرة جداً كنظرية فلسفية إنسانية، لأنها

تجعل التمسك بالقيم والمثل مرتبطاً بالعاطفة وليس العكس وهي تناقض معنى أن يكون هوى المرء تبعاً لما جاء به ﷺ، لأن الهوى هنا ربط بالاتباع والعقيدة ولم تربط العقيدة بالهوى والمحبة والا لتغلبت العصبية والعنصرية والعاطفية والقبلية والاقليمية والمصالح الفردية الأنانية وشاعت الفوضى في الكون. فالمحبة إذاً فرع من فروع الاتباع والرسول ﷺ بدأ الدعوة بمبادئها التي لم تأت في صدارتها من الناحية الزمنية الدعوة إلى محبته والصلاة عليه فلما أشرب المسلمون بمباديء وحدانية الله ورسالة نبيه ومثل الإسلام وتعاليمه جاء لاحقاً من ضمنها مقدار محبة رسول الله والأكثار من الصلاة والسلام عليه، أي بعد التشرب بالعقيدة جاءت الدعوة إلى المحبة المكينة التي أبرز مظاهر صدقها الاتباع بكل فرعياته وشموليته.

ومن أراد الحث على المحبة فليركز على الحث على الاتباع وتجنب الابتداع لأن المتأخرين أكثر احتفاء بالرسول بمعنى الاحتفال بمولده والتغني به والمبالغة في الاهتمام بذكراه لكنهم أقل من السابقين في الاتباع بدءاً بذروة سنام الإسلام طاعة ومروراً بالمعاملات والأخلاقيات والورع والعبادات وانتهاء بتجنب المحرمات والموبقات مثل الذنب الكبير الذي أهون شعبه مثل

علي محمد العيسى

أن ينكح الشخص أمه ــ والعياذ بالله[1].

إن مبدأ أن المحبة تحمل على اعتناق الرسالة مبدأ ينبنى على اعتبار أن المحبة هي السبب واعتناق مبدأ المحبوب هو النتيجة وهو مبدأ خطير سيء الأثر على الإنسانية لو بقي فلسفة لها في صراعاتها العرقية والإقليمية والفلسفية لأن المحبة قد تكون من دوافعها ــ كما أشرت ــ القرابة أو الإقليمية أو القبلية، والإسلام لا يقر ذلك في شأن العقيدة ولا اتصور أن يوجد كاتب قد يوصف بأنه إسلامي وأنه كبير يمكن أن يكون الوصف صادقاً فيه إذا فاحت من فمه روح القبلية أو تبخرت من إبطه رائحة الإقليمية النتنة، والعصبية الهوجاء.

ومبدأ المحبة كأساس تصلح لمثل الشاعر الجاهلي النزعة دريد بن الصمه القائل:

وما أنا إلا من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

ولا تصلح مع قوله تعالى: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت**﴾.

---

(١) طالع الترغيب والترهيب للمنذري ٢ /٣٤٧ «في الترهيب من الربا».

والعقيدة هي التي جعلت سلمان الفارسي رضي الله عنه من آل البيت، وأبا لهب وأبا جهل من أشد المبغضين حتى من نسلهم المؤمن وجعلت فرعون يُلعن، ومسيلمة يوصف بالكذاب حتى من قبل أهلهما ونسلهما ــ إن وجد ــ ان كان الأهل والنسل مسلمين صادقين.

والفاروق رضي الله عنه لم يسلم بالمحبة فلقد عذب زوج أخته وأخته بمواقف معادية عاطفية صادرة عن الهوى فلما سمع القرآن الكريم، ومبادىء الدين الإسلامي، وتقبل العقيدة تولدت لديه إثر ذلك المحبة فصارت العقيدة والتمسك بها سبباً في المحبة التي تزيد بزيادة التمسك بالأوامر والنأي عن النواهي والشبهات، ونخلص من هذا بأن المقياس السليم والمعيار الحقيقي للمحبة هو مقدار الاتباع لا مقدار الاحتفاء والاحتفال الموهم بالتكفير عن استمرار التقصير.

وإنه لرائع قول الأخ الكريم: «حيث جعل اتباعه ﷺ بين المحبتين وذلك تعليقاً على قوله تعالى: ﴿**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**﴾.

فالبذور هنا أو الغرس هو الاتباع والثمرة محبة الله للغارس، أما بذور المحبة من الناس فدليل صدقها وجودتها ووجودها هو

الاتباع لا الابتداع ولا الاحتفاء، وإنما الاتباع الذي حدد حدوداً من ضمنها حدود المحبة وطرقها دون زيادة أو نقصان، دون غلو أو تقصير.

ومحبة رسول الله، والصلاة عليه، واردتان ضمن صُوى الاتباع، ﷺ، وسيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم قد تعطرت بها مناهج وكتب الدراسة على نحو سليم...

إذن أعود إلى منهجية البحث وضرورة وضوح مواطن الاتفاق والاختلاف لكي لا يكون المتحاورون في أودية شتى والقراء في وديان أخرى، فمسألة الاتباع مسألة لاخلاف عليها.

ومسألة محبة رسول الله ﷺ والصلاة والسلام عليه لا خلاف عليهما.

أما ما عليه الخلاف فهو بدعة أو شبهة الذكرى السنوية وكأنَّ الرسول ﷺ منسي، أو الاحتفال بالمولد وكأنه عيد إسلامي مشروع.

وهذه يمكن الاتفاق عليها للخلوص مما حذر منه الأخ الكريم من الفتن ودسائس الغزو الفكري.

وذلك بأن يكرس الجميع جهودهم للاتباع وإبطان وإظهار

المحبة لرسول الله بمضاعفة معايير الاتباع إن لوحظ أن بها وهنا وضعفاً وتقصيراً كلما بدت زيادة الوهن، والإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ يومياً مع اقتفاء أثره والتمسك بسنته وترسم خطاه والاستجابة لأوامره والانتهاء عن نواهيه، وكفى بذلك عملاً بالغاً ومحبة راسخة وبذلك يفوت الأمر على مكائد الكائدين وضلالات المقنعين، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين. اللهم أعز الإسلام، وانصر المسلمين آمين يارب العالمين.

وليس في الصحافة مجال توسع لذا أحيل الراغب في ذلك إلى كتاب «العقلية الإسلامية وفكرة المولد» نشر مكتبة الخريجي — بالرياض.

صحيفة البلاد ١٢ /٤ /١٤٠٦هـ

أمثلة من خارج منطقة الحوار:

٢

إن مسألة التحديد الدقيق لما يُقصد قوله وذلك بمحاولة الاتفاق على معرفة المصطلحات ومعاني الألفاظ مسألة مهمة للوصول إلى الحقيقة يتطلبها الأسلوب السليم للبحث ومنهجيته المتراسلة بوضوح فيما بين الأفهام وبذلك تختصر أيضاً المسافات الطويلة غير المعبدة، وينقذ ذهن القاريء المتابع والمحاور من متاهات الاحتمالات والظنون.

فالمراد بالاحتفاء هنا يذكر بحوار جرى بين مجموعة من الإخوة حول الفن التشكيلي... وكانوا بين مادح وقادح، ولكن سياق الحوار يبين أن الاختلاف ليس حول الفن التشكيلي ككل، وإنما على نوع أونوعيات «مدارس» منه مثل أو هي: السريالي والتكعيبي والتجريدي أي الرسم «الملخبط» وأما الواقعي والانطباعي «والكلاسيكي» القديم أي الرسم الإبداعي

فلم تكن ضمن النقاش كمضمون، وإن بقيت فيه لأنها داخلة ضمن معنى الفن التشكيلي.

وبذلك بقي المتحاورون في متاهات اختلاف الاصطلاح عن المراد المفصل، وبقي القاريء معهم في نفس المتاهات، وقد يأتي فهم المراد بعد اطناب وإسهاب وجهد وإجهاد، وليس مما يندرج تحت حكمة «خير الكلام ما زاد وأفاد».

ولو تحدد المصطلح والمراد بدقة منذ البداية وفي العناوين وأنه الفن «السريالي» وأمثاله من الفن الغامض غير المفهوم شقيق الشعر الطلسمي اللاموزون، أو مايسمى بالشعر الدخيل المحاول إماتة الشعر الأصيل، ولو جرى تعريف المصطلح وتحدد لضاقت شقة الخلاف في الرأى، ولربما تقاربت وجهات النظر، وتبودلت المفاهيم المقصودة، وعرف أن المعنيَّ الضربان من الشعر والرسم المستهينان بعقلية المتلقى، واللذان لا يتطلبان موهبة وإبداعاً، وكل من انحدر إليهما بلغ شأوه بدون ملكة أو نبوغ.

ومسألة الاستدلال بأدلة لأمر ما للوصول بها إلى إثبات مسألة أخرى كالاستدلال بأدلة الاتباع والمحبة والصلاة على

النبي ﷺ لاثبات استحسان الاحتفال بذكرى مولده تذكرني بمقالة للأستاذ الأخ الكريم أبي عبدالرحمن بن عقيل يوحي بها أن دعاة الاستقاء من منابع التراث ثم الانطلاق منها لا يرون التجديد في المعاني، وهذا ما جعلنا كقراء نفهمه منه خلافاً للحقيقة.

عنوان تلك المقالة التي لا تحضرني الآن «قرباً مربط النعامة منى» نُشرت في صحيفة الجزيرة وقد أورد بها قصيدة سيابية، وحاور بها من سماهم التراثيين، وأسميهم أنصار الشعر الأصيل، تراثياً أو حديثاً، وعندما فرغت من قراءة المقالة وجدت نفسي أتساءل من الأولى بالمخاطبة حول هذه القصيدة مبنى ومعنى هل هُم أنصار الشعر الأصيل الذين يدعون للتجديد في المعاني، والتحديث في المباني الشعرية شريطة التواصل مع التراث والبناء عليه وعدم الخروج عنه إلا إلى ما هو أفضل منه، أي أن يكون الشعر معنى واضحاً أو رمزياً، ووزناً يختلف عن النثر بالغنائية أي أن يكون عبارة مفهومة وقيثارة «منغومة» لانشاز ولانثار ولاتفلت فيها، وفيها مجال للنوابغ فقط لا للمدعين غير المبدعين.. أم الأولى بالمخاطبة دعاة الشعر الدخيل؟!..

وهل رأى أو سمع الشيخ عفا الله عنه من التراثيين من رفض

التجديد في المعاني، وطالب في زمن الطائرة بأن تقتصر الأغراض والأوصاف الشعرية على الاطلال.. وهل اطلال امريء القيس كاطلال إبراهيم ناجي وكلاهما من شعراء الشعر الأصيل لا الدخيل، وهلا يوجد تحديث في شعر الأخطل الصغير يختلف عن شعر الأخطل الأول، وهل شعر الشابي في معانيه كشعر أبي تمام؟ وهل شعر العشماوي وحليت مسلم وباعطب ومقبل العيسى مثل شعر لبيد وطرفه وزهير ومسلم بن الوليد وعمر بن أبي ربيعة؟

كان الأولى بأبي عبدالرحمن الحبيب أن يستدل بشعر السياب الذي أورده كرد على أنصار الشعر الدخيل، الشعر اللاموزون، وخاصة الطلسمي منه لأن شعر السياب الذي أورده فيه معنى جلى ورؤى جمالية عربية حلوة، وموسيقى شعرية ليست «جازية» وفيها صور بيئية عربية عن النخيل تحوي كل جميل.. إن في شعر السياب الذي استدل به معنى رصيناً مع نغم جميل وذلك هو الشعر الأصيل.. ولا يكفي ما عرف عن السياب في قصائد أخرى إذا استدل الكاتب بقصيدة هي حجة لانصار الشعر الأصيل لا أنصار الشعر الدخيل ولربما يفهم من ذلك أنه لم يجد في الشعر الدخيل ما يقوي حجته ودفاعه عنه.

وفي مقالة أخرى يستدل الشيخ الأستاذ أبو عبدالرحمن

بقصيدة قديمة ليقول ما معناه إن في التراث الشعري ما ليس جديراً بالعناية، فعلى من يرد ياترى؟ هل قال: أحد إن كل ما في التراث الشعري رائع، وكل جديد سيء حتى ما ليس «بالشعر» اللاموزون الغامض؟! المطلوب ليكون الشعر شعراً: فهم ونغم، إن من يعجز عن الشعر الأصيل وهو يمتلك منبراً ولكنه لا يملك الموهبة ينصرف إلى الشعر الدخيل اللاموزون والطلسمي والذي يسهل رمي من لا يعجبه بعدم الفهم، وهذه حقيقة لأن «الشاعر» ذاته يصطحب معه «صاحب القراءة النقدية» ليشرح له وللمتلقين معاني ألفاظه. وقد جرى التركيز في عالم المظاهر على صنعة اللفظ: التسطيح، الاستبطان، الشكلانية وما إلى ذلك، وعلى مستوردات اصطلاحات: السيميائية الصوتيم وما إلى هذا، وضاعت حلاوة الشعر وفقد دوره ورواده ومرتاديه. ومن تهمه الشهرة غير مسيرته لتتاح له ولو لم يقتنع بسلامة المسلك.

والسريالية في الفن مع الشعر الغامض الدخيل يتعاونان ويناصران من الحضارة المادية السائدة لكي يحلا محل الفن والشعر الأصيل اللذين قد يعجلان بنهوض حضارة بديلة عن السائدة وهذا ما لا تريده الأخيرة، ولذلك فنقص المواهب يعتمد في تسلقه على ما يسمى بـ «الشللية»، وإنكار أهل المواهب،

ودفن النوابغ أدبياً قبل موتهم جسدياً. وقد تساعد الصدفة حسن النية وقصر النظر فيما لا تحمد عاقبته، ولا يمكن الاتهام بتكامل التصور ومعرفة المصير.

استطردت كثيراً فيما ليس لموضوع أخينا الدكتور الكريم علاقة به سوى أنه وأبا عبدالرحمن الذي استشهدت بمقالته أوردا أدلة وتعليلات تصلح تأييداً لرأى من يخالفهم الرأي فيما يريانه كل على حدة، ولأنه حذر من الغزو الفكري.

وإن استمر بعض صفحات الثقافة والأدب على هذا النحو حتى ليلمس القاريء أن صفحات الرياضة أكثر اهتماماً بمفهوم الأدب!!! مقارنة في بعد المسافة لا حقيقة، فما على الكاتب سوى الصمت فهو إذ ذاك أبلغ وهو خير من المجاراة الخاطئة وما على القاريء الجاد سوى أن يجني من حصاد الكتب، ولا يعتمد أو يعول على الصحافة في دنيا الأدب، وهذا يتطلب تبعيضاً لا تعميماً، والأمل في التطوير موجود لوجود الثقة ودواعيها.

وأعتقد أن من الغزو الفكري خارج نطاق الدين ولكنه ليس ببعيد التأثر والتأثير مسألتي الرسم «السريالي» والشعر الاليوتي الدخيل، وهما لا طعم ولا لون ولا رائحة لهما، ودورهما إشغال

المكان عما قد يفيد إذا حل محلهما، وليس من اتهام بالتعمد، ولكن التوعية والتنبه والتواصي أمور تتطلب من المسلمين إنكار الذات وتشابك الأيدي في أخاء وصفاء ونقاء وفطنة وتفطين، والأخذ بأيدي الناشئة لكيلا يتولوا منابر لم يصلوا للمستوى الذي يمكنهم من فهم أبعاد مسؤلياتها الأدبية والتاريخية، والله المعين لمن يستعين به.

قطوف من حروف

- كثيرون يؤمنون بإتاحة المجال للرأي الآخر إلى أن يصبحوا أصحاب الرأي الأول، وبذلك لا يقرأ الناشيء سوى أدب الرأي الأول، أي لا يرى سوى نصف الصورة.
- ما هو فن الرسم غير التشكيلي؟ عرفوا المصطلحات يارسامون وعرفوا مصطلحاتكم أيضاً ياأدباء لنعرف ما تقولون.
- التاريخ لا يتحدث عن المستقبل، وقد يهمس في أذن الحاضر، لكنه الوحيد صاحب الكلمة المسموعة عن الماضي، ولذا فالأديب الواعي هو من يتوقع حكم المستقبل على أدبه عندما يصبح ماضياً، ثم يكتب.
- ما درجة رقي المجتمع الذي فيه شكل سيارة الإنسان تؤثر في النظرة إليه والحكم التوقعي على مستواه وأسلوب التعامل معه، أنت كبير، بماذا؟!
- قد يقول بعض الشباب إن الشعر القديم يمتلىء بالمديح القابض للثمن، حسناً حددوا موقفكم من هذا الغرض برفضه وبلا رفض لجميع الأغراض أو المدح الصادق.

- يمكن أن يقيس الإنسان مدى حظه من موهبة الشعر بمدى مطاوعة الأوزان والقوافي له فضلاً عن الصور والمعاني وتعبيرات الوجدان، فإن لم يستطع التعبير الغنائي فهو ناثر وليس بشاعر، هكذا قيل أو ما معناه.
- الحداثة اسم على غير مسمى تعبر عنه بدقة، لأن الحداثة غير مرفوضة إذا حسنت منطلقاتها وأهدافها، أما التفلت من الشعر العربي باسم الشعر والحداثة فمرفوض.

هل ... وهل ...
ثم هل ... حول نعل

هل... وهل... ثم هل... حول نعل:

هذه صورة صفحة من كتاب، والمثل يقول : «إن العصا من العصية» والمثل الآخر يقول : «البعرة تدل على البعير».

جاءت هذه الصفحة ضمن فصل مستقل عن نعل رسول الهدى ﷺ ذلك الرسول الأمين الذي جاهد في الله حق جهاده، وقضى حياته في الجهاد والعمل إلى أن وافاه الأجل، فبأمر ربه سبحانه خاض بنفسه عشرات المعارك، بل مئاتها، وعلى سنته خاض المسلمون من بعده آلاف المعارك، وكلما كانت المعركة صادقة مخلصة في مقاصدها ونواياها كلما حققت النجاح والفوز وتقبل الله لها الدعاء، أما من نسوا الله فقد أنساهم أنفسهم، ومن نصروه نصرهم، تلك سنة الله.

ليس هذا الاستطراد هو موضوع الكتاب، فالكتاب يعطي فكرة عنه هذا الفصل، وهذا الفصل تعطي فكرة عنه هذه الصفحة، على نمط ــ ولو عكسي ــ من صيغة «فهذا الشبل

من ذاك الأسد».

والكتاب في مجمله ومجموعه يدور غالبه في فلك الغلو والمبالغات والتركيز على الذات. وبعض الشطحات المنقولة من مراجع لم توثق توثيقاً يُطَمْئِن إلى الثقة بها، وإن لم يخل الكتاب من مواطن صحة قد توجد التمويه، وتدخل معها إلى ذهن القاريء ما يستوجب الإيضاح والحوار والتفريق والتنويه لكي تُدْرك حقائق الأمور دون تقبل عفوي سطحي لما يطرح بدون نقاش وتفنيد وتمحيص وعزل للغث عن السمين ليبقى الغث معزولاً منبوذاً.

وليس المهم هنا ذِكْر اسم الكتاب أو اسم الكاتب عفا الله عنه إن حسنت نيته، وتاب الرحمن عليه إن تبين للكاتب الخطأ فثاب وتاب وأناب. فعدم ذكر الاسم قد يساعد على إدراك القصد ومراد النية كما يعين على تحقيق الموضوعية، ويقصى المظان الشيطانية التي لا يتمناها ويسعى إليها إلاّ أعداء الشهادتين.

وليس المهم هنا أيضاً شرح المعاني وتبيان المراد منها لذاتها، لأنها معاني بينة، وتقوض نفسها بنفسها عندما تُقابل بفكر، وتواجه بمنطق، وتعامل بتدبُّرٍ وَوَعْي. ولأن الإسلام ــ ولا

مقارنة ــ أرقى وأبعد بلا حد من واهي ما تعنيه، وما ترمي إليه.

وليس مهماً هنا، كما أنه ليس ممكناً محاورة الكتاب كله، لأن ذلك لا يتم في مقالة وعجالة، وقد لا يستوجب الأمر الإطالة، ولكن المهم هنا والدافع هو طرح تساؤلات قد تولّد تصورات، وتنبثق عنها رؤى للأهداف عمّا وراء ما ورد من أشعار في هذه الصفحة «الصفعة» مع استقراء كل الاحتمالات:

مَنْ تخاطب؟
ماذا يراد ممن تخاطب؟
وماذا يراد لمن تخاطب؟
وماذا يراد لموضوع المخاطبة؟ وما ينتسب إليه وأسئلة وتساؤلات عديدة.

ويأتي كمقدمة للتساؤلات التعرف على معاني الأبيات كوسيلة لا كغاية.

عنوان الصفحة هو «هذه صورة مثال النعل النبوي الشريف» وقد رسم المثال، وجاءت عليه وحوله أبيات شعر هي موضوعها.

والبيتان الأوّلان يقولان:

على رأس هذا الكون نعل محمد ... علت فجميع الخلق تحت ظلاله
لدى الطور موسى نودي اخلع وأحمد ... على القرب لم يؤمر بخلع نعاله

على رأس هذا الكون... ماذا؟! نعل، تعبير غير موفق!

نعل محمد علت فجميع الخلق تحت ظلاله، هل هو ظلال النعل لأنها موضوع الصفحة، وأنه لو كان المقصود محمداً ﷺ لبقى المعنى دون ذكر للنعل، وأن الشاعر ذكّر النعل لضرورة الشعر أو أنه يتساوى التذكير والتأنيث للنعل فقال: «علت» وقال: «تحت ظلاله» ولكن النعل مؤنث، وتصغيرها نعيله (راجع المنجد ص ٨٢٠).

أم أن المقصود تحت ظلال محمد ﷺ، وهنا يمكن طرح تساؤلات منها: مادور النعل في ذلك حتى تُذْكر؟ وما أهمية كون الخلق تحت ظلاله؟ ومن قال إن كل الخلق تحت ظلاله؟ أليس العرش وبعض الملائكة وبعض ما لا نعلم من مخلوقات الخالق جل وعلا قد تكون أعلى وليست تحت ظلاله؟ ثم اليست هذه الصفة غير صالحة لمن هو في حد ذاته مخلوق، وأنها تقال في حق الخالق سبحانه الذي نستظل بظل عرشه يوم لا ظل إلاّ ظله، وبمكانته وعزته وجلاله؟

إن محمداً ﷺ يستمد مكانته من منزلته عند ربه ثم بفضلها عند عباد الله الصالحين والمنصفين، وكونه خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم، وليس من علو حسي يحصل لمن يركبون الطائرات ومركبات الفضاء ــ وإن اختلف الأمر ــ ومنهم من ليست لهم أهمية أو قيمة وإن علوا حسّياً على من هم أفضل منهم من عديد الجوانب أو جميعها.

ثم إن اختلاف الظروف قد جعلت موسى عليه السلام يسير في الصحراء هو وأهله وقد انتعل نعله عن الحجر والشجر والشوك والأذى، وفوجىء وهو يبحث عن قبس بأنه في واد مقدس وقد مَن الله عليه بأن كلّمه تكليماً فيما بعد.

وقد قيل له اخلع فهل فقد بهذا القول ميزة أعطيت لغيره؟! أما مُحمد ﷺ فلم يكن للنعل مجال ذكر في إسرائه ومعراجه لعدم أهميتها من جهة، ولو ورد لها ذكر فماذا سيفعل صاحب الصفحة ويعطي من اهتمامات تفوق اهتمامه هذا وهي لم تذكر؟!

ومن يعلم عن نعل رسول الله ﷺ هل كانت في قدميه أم أنه تركها في بيته؟ أم تركها في القدس الشريف؟ وما أهمية معرفة ذلك؟ هل لذلك علاقة بأي حكم من أحكام الإسلام أو

العقيدة؟! أهذا هو الدين؟ هو الإسلام؟!! تنزّه دين الله عن ظن بعض خلق الله.

عندما تعلق الأمر بحكم شرعي ورد للنعل ذكر فقد ورد في الحديث الشريف ما ملخصه: أن النبي ﷺ صلى بنعليه فجاءه جبريل عليه السلام وأخبره بأن فيهما قذراً فخلع نعله أثناء الصلاة.(١)

لعلنا أبناء الإسلام ننقذ الجانب الاعتقادي في ديننا مما يعلق به مما ليس منه، ولا ننسى الإهتمام بالجانب العملي الذي يتطلب أن يولىٰ جل اهتمام وكثير حذر ورهبة من مخالفة أمر الله، ورغبة في رحمته.

والبيتان التاليان يقولان:

مثـــال حكـــى نعـــلاً لأشرف مرسلٍ
تمـنّت مقـام التـرب منـــه الفراقـــد
ضرائرهـــا السبـــع السمـــوات كلهـــا
غيـــارى وتيجـــان الملـــوك حواسد

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون،

---

(١) مختصر سنن أبي داود للمنذري ١ /٣٢٨ باب الصلاة في النعل.

وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين أمنوا وعملوا الصلحات وذكروا الله كثيراً﴾ (الآية: ٢٢٧ الشعراء). صدق الله العظيم.

ويَقول بيتان بعدهما:

مثال لنعل المصطفى ماله مثل ... لروحي به راح، لعيني به كحل
فأكرم به تمثال نعل كريمة ... لها كل رأس ودّ لو أنه رجل

أيها الشاعر ومن أُعجب بشعرك في معناه :

رسول الله ﷺ لا يرضى أن تكون نعله أو مثالها وهي «مداس» كحلاً لعين بشر وخاصة المسلم، ولا أن تكون أو مثالها راحاً لروحه، وهو لا يرضى بذلك لأن رب العزة والجلالة لا يرضى بذلك وهو الذي كرّم بني آدم، وكيف سنبشر الناس بالإسلام ونقنعهم به لو صارت هذه عقيدتنا وديانتنا؟!

وأما أن هذا المثال ما له مثل، فالذي ليس كمثله شيء ليس ما ذكرت، ولا أذكر الأثنين هنا تنزيها وتعظيماً لمن ليس له مثل من جميع مخلوقاته في ذاته وصفاته.

وأما المصطفى ﷺ فله أكثر من نعل في طفولته وشبابه وكهولته وقبل وفاته، إذ ليس نعل الطفولة هو ذاته نعل الكهولة.

وقول الشاعر: لها كل رأس ودّ لو أنه رجل فيه بطر لنعمة الله

واستهانة بخلقه، فالله سبحانه ما أنعم بالعقل والحواس ليتمنى الشاعر تحول الرأس إلى قدم تندس في حذاء يستعمل للحماية والوقاية من الأذى والقذارة والنجاسة والتي قد تصل في بعض الأحيان إلى القدم.

ولربما يكون الشاعر في موضع الرد المسبق على من قد يقول مثلما قال الشاعر في شطر بيته :

يستوى الفكر عندها والحذاء :

أو قول الشاعر حسين عرب:

السّيدان السيف والقلم غابا فلا كَلْمٌ ولا كَلِمُ
أعياهما أن يشهدا زمناً فيه تساوى الرأس والقدم

ويتفق شاعر النعل مع الشاعرين في استنكار تساوي الرأس والقدم، لكنه يختلف عنهما بتفضيل الرِّجل على الرأس! وهما بالعكس كما يُفهم... ولربما استشهد قائل بشطر بيت يقول:

يأأمة ضحكت من جهلها الأمم.

وآخر يحِّرف بيت شعر ليقول:

وكم ذا «لدينا» من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

وهو لا يعني قطراً بعينه ولكنه يعني عامة بلاد المسلمين وإن تفاوتت الأحوال:

● وفي البيتين رقم ٤ يقول الشاعر:

ولما رأيت الدهر قد حارب الورى جعلت لنفسي نعل سيده حصنا
تحصنت منه في بديع مثالها بسور منيع نلْتُ في ظله الأمنا

لمّا أعلن الدهر الحرب لم يرفع راية الجهاد والكفاح والصبر والاعتماد على الله واقتفاء سنة نبيه ولم يتحصن بالله ومن تحصن بالله وعمل كفاه، وإنما تحصن بنعل! وماذا تنفع النعل أو مثالها؟ وهل تسْمح لنا أيها الشاعر بأن نُقلّ الأدب فنقول: كفؤلك، ولن نقول ذلك إلا إذا اعتبرت العبارة تشريفاً لك وليست خروجاً عن الأدب منا معشر القراء.

وقد تحصن بسور وهْمي منيع نال في ظله أمناً وهمياً أيضاً، ليتك تحصنت باذن الله بسور القرآن في تعليماته وتلاوته وإرشادات المرسل به وهما بين يديك حقيقة لا وهماً وتمثالاً.

وإن كنت قد فعلت فلست بحاجة معهما إلى التحصن بنعل.

والبيتان رقم ٥ يقولان:

إني خدمت مثال نعل المصطفى لأعيش في الدارين تحت ظلالها
سَعِد ابن مسعود بخدمة نعله وأنا السعيد بخدمتي لمثالها

مبارك لك وعليك! العيش تحت ظلال نعل ليس في الدنيا فقط بل وفي الآخرة، تحت ظلالها الوارفة! وقد علقت بها نجاسة فخلعها رسول الله ﷺ. فهل أزلت النجاسة منها، أم أنها مقبولة ولها مكانة مادامت عالقة بنعله في نظرك.

أما مربينا ومرشدنا وإمامنا وقائدنا وقدوتنا وحبيبنا ﷺ فقد خلعها وأبعدها هي والنجاسة عن موضع الطهارة والعبادة، عن موضع اللقاء برب الدنيا والآخرة جل جلاله. ومحبتنا له تكمن في اقتدائنا به اتباعاً لأوامره وإجتناباً لنواهيه، وله منا السمع والطاعة، ولم يدعنا هو والسلف الصالح إلى الاهتمام بنعله أو مثالها لا بتلميح وتلويح، ولا بتصريح وتوضيح.

● ومن خدم محمداً ﷺ في حياته بنعل فقد خدم خدمةً مقبولة معقولة مثابة ليس فيها تعظيم للنعل أو مثالها.. وإنما خدم المصطفى ﷺ لكيلا يسير حافياً، لكن ما قيمة مثال نعله ﷺ وما أهميتها وفائدتها التي سعد الشاعر بخدمة مثالها بعد وفاته بدلاً من الدعوة إلى اقتفاء أثره ﷺ وترسم خُطاه وطاعته فيما أمر، وما أكثر التساؤلات، أما الإجابة عليها فتحتاج إلى

صفحات وساعات وجلسات.

هل ياترى هذا السعيد بخدمة مثالها، والذي يعيش أو يريد أن يعيش في الدارين تحت ظلالها، وجعلها حصناً نال في ظله الأمنا هل هذا هو مفهومه وتفسيره لقوله تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم...**﴾ (الآية: ٦) سورة الأنفال.

وهل حَمْته النعل من أعداء الإسلام؟ قد يكون ذلك وَهُمْ هازئون به، محتقرون له ومشجعون لجهالته، لكن هل يحمي ذلك المثال أمته الإسلامية من أعدائها فهي في ظله تلقىٰ الأمن متحصنة بسور منيع؟!!

والشاعر القائل: أكرم به تمثال نعل كريمة، ألا يعلم أن التماثيل أصنام أو أزلام إن لم تعبد فهي قد تتخذ زلفى وقربة؟ فماذا بعد هذا؟!

وهل هذا سلاح الأمة الإسلامية؟ وهل هذا سلاح ولو ثانوي؟!! وهل هو منار دينها؟! أو مشعل مسارها؟ جلّ الله سبحانه وكرم نبيه وعز دينه عن أن يكون هذا ما يراد للمسلمين ومنهم، وهل لو أعانت الظروف والأحوال وأشراط الساعة هذا

الشاعر أو المعجب به سيقرر مثل هذا النّظْم في مقررات أولاد المسلمين المدرسية، في مواد المطالعة والتعبير والخط والمحفوظات والقواعد والسيرة والأدب بل وكتب الدين أيضاً؟!!

وهل ستوضع الأشعار والأمثلة في المساجد والمَمرات والمجالس؟!

وهل لو صنع كل مسلم مثال هذه النعل وتحصن به، وعاش تحت ظلاله ووجد الأمن! في ذلك يعيش سعيداً في الدارين ويحقق المطلوب منه كعبد لله ومتبع لنبيه ﷺ وناشر لدينه؟!

وتصبح أمة الإسلام في ظل مثال النعل أمة رائدة راقية عاقلة؟!

وهل حرّر عمر رضي الله عنه وصلاح الدين رحمه الله القدس بمثل هذا السلاح؟ وهل هذا ما نختار لننشيء أطفالنا والأجيال المسلمة القادمة عليه؟!

سنُحسن الظن بالكاتب والشاعر ونعتبرهما مجتهدين أخطآ. ولم يفكرا عميقاً وجدّياً وكثيراً في هذه التساؤلات، ولم يستقرئا هذه مع استقراء الاحتمالات، وسيعودان هما وغيرهما إن كانا على قيد الحياة إلى الحق من أجل كسب الفضيلة؛ وتفويت

الفرصة على العدو وأعوانه المنافقين بعد إدراك خطورة نشر مثل هذه الأفكار الساذجة السامّة الصارفة.

لكن في حالة الإصرار أو وجود القصد والعمد من حق كل مسلم أن ينبِّه إلى ما يراد للإسلام وأهله من انشغال عنه بما ليس منه ليضعف ارتباطهم به ولينفصموا وينفصلوا عن سبب قوتهم وعزتهم ومنعتهم كما يسهل إذ ذاك اتهام الإسلام بما ليس منه بعد أن صعُب هدمه وتقويضه من خلال ما هو حقيقة منه.

ففي زمن التهريج والتزييف والشعوذات والادعاءات والمكر والمظاهر والدروشة المنحرفة عن نهج السلف، والتصوف والتطرف تأتي محاولات تقويض الإسلام بنسبة ما ليس منه إليه بعد أن تبين أن ما هو منه لا يصلح مقوضاً له مِعْوَلاً لهدمه.

ولربما يقال: إن هذا الموضوع لا يستحق الاهتمام؛ إنه مشغِلٌ تافه لا يستحق الالتفات والتوقف عنده، فلماذا ننصرف إليه ونوليه عناية، وهذا إلى حد ما قول حق، لكنه ينسى أن الأمر ليس انصرافاً وإنما مرور كرام على «ساقطة قد تلقى لاقطة» فيوضع لديها صوت حَذَر قبل حصول الخطر واستشراء الشر في زمن التخلف والهزيمة «والمكياج» و«الديكور» والضعف والجهل الفكري الإنساني لا التقني، ولتبصير كل من له بصر

وبصيرة بأن يمعن النظر ويزداد ترويا، ويكثر هو وجلساؤه من التدبر والتفكر والتأمل، وعندما يخلو بنفسه قبل نومه وعلى وسادته يسائل نفسه: ما هدفي في الحياة؟ ولماذا خلقت؟ ماذا أريد؟ وماذا يراد لنا؟ لكيلا يأخذه انعدام التفكير إلى ما أخذ الشاعر إليه أو ما يشبهه، وعاش في ظله في الدارين كما يزعم.

***

لنخرج من الموضوع إلى ما هو أهم :

إننا في زمن تكاثرت وتكثفت فيه الفتن، وبدت بوادرها وكثرت فيه الأمور المتشعبة التي تتطلب البحث والاهتمام والتخطيط والاستعداد والحذر والحيطة المتعقلة والأخوة ونبذ الفرقة وأسبابها ونبذ مساويء القبلية والطائفية والاقليمية والمذهبية بكل سلبياتها ونسبة كل حدث إليها. نحن في زمن إذا رفع فيه المسلم السلاح في وجه أخيه المسلم فهو إنما يحقق أهدافاً مأمولة وأمنيات غالية للثلاثي: الالحاديين والصليبيين والصهاينة، وغيرهم من المتكالبين، ومن تبعهم بسوء إلى يوم الدين.

إننا في زمن يتطلب من العلماء والقادة والرواد والمفكرين عمل ما فيه الخير والمحبة والعدالة ليكون المسلمون رحماء

بينهم أشداء على الكفار، وقد تحسبهم شتى وقلوبهم مجتمعة، يُرهِبون الظلمة فقط ولا يَرْهبون، يُرهبون عدو الله وعدوهم، ولا يُرهب بعضهم بعضا.

ويتطلب الزمن منهم ومن جميع المسلمين انقاذ المسجد الأقصى المحتل، ومعايشة واقع الأفغان لإدراك ما يعانون منه، ومساندة اخوتهم في كثير من البلدان التي يضطهد فيها المسلمون، ويحارب الإسلام وما أكثرها، وأكثرياتهم فيها أشبه بالأقلية إرادة وإدارة واقتصاداً واجتماعاً.

والفلسطينون الآن يتكالب عليهم، ويتكاتف ضدهم الإرهاب الدولي الناجح في تطوير وسائل التدمير، وتصدير المثاليات الراهبة الواهنة إليهم ذلك الإرهاب الذي يغطي شنيع فعله بادعاء مكافحة الإرهاب، وهم الأقربون، وهم أهل الأرض التي ذروة سنام الإسلام الدفاع عنها، وهي أهم من غيرها لقدسيتها، وليست الوحشية الضارية الناهشة في الفلسطينيين بسبب أنهم ملحدون أو مارقون وإلاّ لصدق الملحدون في مناصرتهم، ولم يكتفوا بالمناصرة الشكلية الكلامية أو التي لا توصل إلى مرحلة النصر والفوز، المناصرة التي ليست منها أوقات الحاجة الفعلية ولا تأتي فيها، وهي مناصرة للاحتواء والاستيعاب، والتذويب؛

وبذر بذور الفرقة ومزيد من التشتت والتشعب، والحيلولة بينهم وبين أسباب العثور على النصر الحقيقي وجمع الكلمة.

وليست الوحشية اللاحقة بهم المنصبة عليهم بسبب أنهم نصارى وإلاّ لدافع عنهم نصارى العرب وصليبيو الغرب كما يفعلون مع من هم منهم، وإن لم يتظاهروا بذلك خشية العدوى، فابقوا معهم قلة لكيلا يشعروا بأنهم جميعاً مسلمون، فتحزمهم وحدة العقيدة، ولكل قاعدة شواذ.

ولا بسبب انهم يهود، إذ لو كانوا كذلك لقربهم الإسرائيليون وجنسوهم ونقلوهم إليهم كما فعلوا مع «الفلاشا» الأحباش.

ولكن السبب الحقيقي هو انهم مسلمون وإن لم يكونوا جميعهم إسلاميين، ولكنهم ينتمون إلى الإسلام، وقد يصلح منهم أو من ذرياتهم من مرق أو فسق، فحتى مع الغزو الفكري المسلط عليهم بكثافة مع غياب الدعوة الإسلامية عنهم، واكتفائها بالتنظير والتنديد والسلبيات يخشى ــ مع ذلك ــ أعداء الإسلام من صحوتهم ويقظتهم ونهضتهم، «اليقظة» الحقيقية و«النهضة» الصحيحة، ويخشى اعداء الإسلام من تعامل الإسلاميين وتواصلهم مع الفلسطينيين بالحكمة **والموعظة الحسنة** والتقارب الساعي إلى إصلاح ما فسد واختل.

ومع ذلك، ولذلك صار من قياداتهم من ليس مسلماً أو ليس إسلامياً لكي يحولوا بينهم وبين الإتجاه للإسلام كلمة النصر في فلسطين وغيرها، ولكي تموت روح الجهاد في سبيل الله المسترخصة كل غالي ونفيس، ويحول الشعار إلى زيف أو تعبيرات ليست نابعة من التراث والثقافة المواطنة والعقيدة السليمة، شعارات لا تحرك همة، ولا توقظ شجاعة، ولا تذكر بأثر فعال، مثل عبارتهم «المجد والخلود» فهي لا ترسم هدفاً منشوداً ونعيماً موعوداً به، ولا قولاً ودعاء مأثوراً أو فوزاً مأمولاً في حالتي النصر أو الشهادة لمن بذل جهده وكافح ونافح وصبر وصابر.

ومع هذا الابتعاد عن الشعارات المعافاة بدا أهل ذلك وانصارهم منهزمين نفسياً وفكرياً وفعلياً، إلاّ قلة لعلها تظهر وتنتشر أكثر وأكثر مثل احفاد عمر بن الخطاب وصلاح الدين وعز الدين القسام وعبدالقادر الجزائري وعمر المختار وغيرهم من أمثالهم، «ولينصرن الله من ينصره».

ويرى بعض الإسلاميين أن سبب تخلي كثير من المسلمين عن نصرة الفلسطينيين ليس فقط الوهن والعجز، وإنما هو أن الفلسطينيين أنفسهم لم يرفعوا في كفاحهم راية الإسلام.

أما أنهم في غالبيتهم مسلمون ومنهم إسلاميون فذلك ما تنبىء عنه أمور عديدة منها أن كبيرهم عالم من علماء الإسلام وهو شيخ أزهري أو لباسه يشبه لباس الأزهريين أي لباس عالم من علماء الإسلام لبسه وحافظ عليه اعتزازاً به، فهو ليس بحاخام ولا بطريرك، لا نقل هذا مظهر، إن للمظهر أيضاً معناه مع عدم الاكتفاء به. وبيانات قادتهم أثناء حرب تجاوزت الثمانية والثمانين يوماً في لبنان ــ بيروت ــ جميعها تبدأ بآية قرانية وتثنى بآية كريمة وحديث شريف وتختتم بالمِثْل (راجع اعداد صحيفة القبس بعد الحرب بفترة).

وأما وجود شعارات ورموز ليست إسلامية فتلك خطة معوقة أو حارفة يجب ألاّ تحقق نجاحها لابعاد المسلمين من ذوي الألباب الواعية الصادقة المخلصة الفاعلة القادرة ــ بإذن الله ــ على التحويل والتعديل، فالسلبية ليست علاجاً، وقد جرب المسلمون مختلف الشعارات فعانوا كثيراً من آلامها، وآن لهم وحان أن يتناولوا الغذاء والدواء الشافي بإذن الله ولا شيء سواه.

وإذا كان الفلسطينيون لم يرفعوا راية الجهاد الإسلامي الموجه للعدو الحقيقي الجاني كما قال بذلك القرآن الكريم، أو أن من رفعه منهم منع من إيصال صوته وكلمته ويده، أو كان

فيهم ناكسون ناكصون ناقمون ــ عن جهل مثل جهل آخرين ــ لأن دعاءهم لم يستجب بعد، لكنهم نسوا أن الله لا ينصر إلا من ينصره، وينسى من نسيه، وان الله سبحانه يكافيء على الاخلاص والصدق والتفاني، ولم لا يستجاب الدعاء؟ يمكن إلقاء نظرة متأملة على قول إبراهيم بن أدهم المرفق ص ٦٦.

وإذا كان في الفلسطينيين فسقة وعصاة أو أكثر من ذلك، وفيهم متوسطون، ولا نقول معتدلين حسب المفهوم الغربي للاعتدال، فإن فيهم ملتزمين إسلاميين مسلمين مثلهم مثل غيرهم من بقية أقطار المسلمين حيث توجد الصور الثلاث وربما أكثر: الطيب والمتوسط والرديء، والمهم كيف ياعلماء وياخطباء ويادعاة كيف تجرى تنمية وتغذية النوع الأول.

ولربما يوجد من نصاراهم إسلاميون!! أي يؤمنون بحكمة الإسلام لأنه أبهى حضارة عربية على وجه التاريخ العربي، والنصراني العروبي الصادق في عروبته يرحب بالإسلام حضارة عربية ونظاماً وقانوناً «وضعياً» إن لم يؤمن به نظاماً سماوياً، ويفضله على بقية القوانين الوضعية التي يقبلها، ولأن تجربته مع الإسلام كنظام حياتي ومع أهله مشجعة ومرضية له حتى أنه يفضله على حكم أبناء ديانته الذين يؤمنون بنظرية خيالية اسمها

المحبة غير المرتبطة بالضرورة بالعدالة خلافاً لمبادىء الإسلام التي تربط المحبة بالعدالة. ومن يحارب الإسلام مشكوك في عروبته وانتمائه، وإن سجن في التاريخ العربي نصراني فقد سجن مائة مسلم بالمقابل لكن لم يكن سجن النصراني بسبب ديانته وإنما لأسباب أخرى /وكذلك المسلمون لم يسجنوا إلا لأسباب ليس منها الدّيانة.

قال تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ حفظ لحرية التدين والمعتقد ولذا في الحكم الإسلامي تطبق على الكتابيين في الأحوال المدنية أحكام دينهم لا ما يطبّق على المسلمين.

وقال تعالى: ﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ [البقرة: ١٩٠]. منعٌ للعدوان.

وقال تعالى: ﴿**لا ينهٰكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**﴾ [الممتحنة: ٩]. التعامل الإنساني.

وفي الحديث الشريف «**من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد**

ريح الجنة»[1]

والكتاب والسنة مليئان بهذه المعاني التي ترفض العدوان، وتدعو للرفق وحسن التعامل والحوار وطيب الجوار، وتعطي حرية أصدق من ديمقراطية الغرب الكاذبة الملتويه التي تخص الأقوى، أو مساواة الشرق غير العادلة، المقتصرة في محاسنها وأوصافها ووعودها على التنظير.

وأين دعاة الإسلام والمبشرون بما بشر به رسول الله ﷺ لكي يشرحوا لنصارى الفلسطينين والعرب حقيقة الإسلام ومواقفه منهم كما هي لا كما فهموها من الغربيين والمستشرقين ووسائل الإعلام الاستعمارية. ولو لوّح ولمّح وصرح على مستويات وتدرج قادة فلسطين بأنهم سيرفعون راية الإسلام إذا فشلت محادثات السلام لفعلوا خيراً في نظر كثيرين وحققوا ما يخشى اعداؤهم منه. والإسلام سلاح تهديد مخيف للأعداء.

فإذاً رفْعُ راية الإسلام مطلب ملح من جميع المسلمين لا الفلسطينيين فقط، وإن كان الفلسطينيون في مقدمة من يطلبون ويُطلب منهم ذلك، لكن إذا لم يفعلوا على النحو الذي يطلبه

---

(١) منهاج الصالحين لعز الدين بليق ص ١٠٥.

البعض، اليس المطلوب من هذا البعض أن يدرك أن عليه بدلاً من الاحتجاج والسلبية أن يقوم بالدعوة والرفق واللين مع اخوانه الفلسطينيين وجميع المسلمين تمشياً مع نهج ودعوة القرآن الكريم؟! وأن يسعى لتحقيق ما يراه ليس بموجود، وأنه كمسلم يتحمل من المسئولية نحو الأقصى بمقدار ما يتحمل الفلسطيني أو أكثر إن رأى نفسه إسلامياً أكثر؟

إن الإسلاميين الذين ينتظرون أو يحتجون بعدم رفع راية الإسلام بيد الفلسطينيين قد وقعوا في خطأ جسيم وسلبية ملموسة لأن الدفاع ليس عن الفلسطينين، والجهاد ليس من أجلهم فقط وإنما هو حق وواجب على كل مسلم وله أولوية لتخليص أولىٰ القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين ، والقدس الشريف والصخرة الكريمة، ومساجد فلسطين الأرض المباركة التي أرادها الصليبيون «وتدجحا»، وتخليص ديار الإسلام والمسلمين، مسرى النبي محمد ﷺ ومعراجه، ومن يتهم الفلسطينيين بالتقاعس عليه أن يتهم نفسه أولاً بذلك، إنّ جهاداً بالدعوة أو جهاداً بالنفس أو المال في سبيل الله ليس كجهاد الشعارات الأخرى التي لا تنتهي بالاستشهاد لمن قتل، وقد يشجعها العدو خوفاً مما هو أشد وأصدق منها وأكثر فعالية وتطبيقاً.

ولذا فوسائل الإعلام وخطباء المساجد والقادة والعلماء والمدرسون مطالبون ــ باستمرار ونموٍ ــ بالدعوة إلى رفع راية الإسلام ولواء الجهاد، ومناصرة من يسعى لذلك على ألاّ يغفل الناس عن أنه قد اندس في القوميين من يدعو لتوجيه سلاح المسلم إلى صدر أخيه حاكماً أو محكوماً بأساليب تهز المشاعر، وما ذلك إلاّ فتنة، والفتنة أشد من القتل وأشد ألوان القتل، وهي انصراف ماكر أو ساذج عن العدو الحقيقي الذي وراء كل سوء ولابد من تكرار التنبيه إلى هذا.

أما المسلم الرشيد العاقل المخطط فلا يوجه سلاحه إلاّ لعدو الله وعدو رسوله ودينه وأمته المذكور نصاً في القرآن الكريم. ولقد خطط أعداء الإسلام لحماية أنفسهم فخططوا تخطيطاً ناجحاً جعل المسلم يقاتل المسلم في الشرق والغرب، وأيهما قُتِلَ يعتبر قتله عيداً سعيداً في نظرهم.

ولقد كانت صفوف جيش رسول الله ﷺ تحوي بعض أصحاب الدرك الأسفل من النار وما أكثرهم (راجع غزوة الخندق) ومع ذلك ما قال رسول الله ﷺ لن أحارب معهم ويحاربوا معنا، وإنما العمل على تحقيق الهدف يجمع ويوحد ويتغاضى ويؤجل ليتحقق بعد النصر الفَرْز، ووضع الشخص

المناسب، والعمل المناسب، والرأي المناسب في المكان المناسب، والعاقل يدرك الحقائق والأبعاد بإذن الله.

إذا وجد من يحارب معنا ممن ليس منا ديناً ويحارب عدواً لنا فلنرحب به ونساعده على ذلك ونستفيد منه على أن تتحقق أغراضُنا فيما بعد، ولا نحقق له غرضاً يضرّ بنا، ونطعمه من عدالة الإسلام ونسقيه ونبرّه ونقسط إليه ولربما استملنا قلبه.

إن مفكري الإسلام قادة وعلماء ورواد مطالبون بالاهتمام بقضايا غير قضية النعل هذه، قضايا حطت على أمة الإسلام بمشكلاتها ووبائها وكلكلها مثل مسائل الربا والرشوة والسرقة والمخدرات الحسية والفكرية وغيرها، ومطلوب من الناس وبخاصة خاصتهم معالجتها على نحو وقائي إن لم توجد الحاجة في بعض المجتمعات الإسلامية حتى الآن أو تصل إلى العلاج العلاجي، والمشكلات الاجتماعية والتربوية والسياسية وغيرها تتطلب صدقاً واخلاصاً وهي تبرز أكثر في المجتمعات التي ضعفت علاقاتها وارتباطاتها بنظم الإسلام، لعلنا نتمثل بالقول الكريم «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» رواه أبو داؤد[1] وليس الاهتمام بنعل رسول الله بعد وفاته اهتماماً بأمور المسلمين!

---

(١) منهاج الصالحين ص ٨٧.

وتبقى تساؤلات عن نشر مثل هذه المشغلات تعود للذهن كلما انصرفت:

مَنْ وراءها، وماذا وراءها ولماذا؟؟؟ وكيف ينساق معها بعض العالمين ولماذا، وكيف ينساق معها بعض الغافلين؟ ولماذا نهمل سريانها؟ وتجرّ التساؤلات بعضها بعضاً لتتوارد الاحتمالات المستندة على استدلالات، ويؤدي بعض التساؤلات والإجابة عليها إلى تساؤلات أخرى لكن لابد من التوقف، فلنتوقف عند قوله تعالى: ﴿**أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً**﴾ الآية. وشاعر أو شعراء النعل ربما يكونون مثل بقية الشعراء يحبون الشعر فلنتوقف معهم عند بيت شعر لوليد الأعظمي يقول:

هذي القشور فلا تقيموا حجة منها على إسلامنا للمدعي

فلنحسن الظن، ولنعجل بالتوبة والأوبة، ولنكسب فضيلة الرجوع إلى الحق، ولنكن خير الخطّائين، ولنبدأ بالأخذ بالإيجابيات وعمل الخير.

• قطوف من حروف :

«إننا نحن المجاهدين الأفغان لنشعر أن بيت المقدس أحق بالدفاع من بلادنا... ولولا أن عدونا يقرع أبوابنا قرعاً عنيفاً لاتجهنا إلى بيت المقدس لتخليصه من أيدي الغاصبين» عبد رب الرسول سياف. صحيفة الجزيرة العدد ٤٦٦١ / ١٥ / ١٠ / ١٤٠٥.

لماذا لا يستجاب الدعاء ؟:

مر إبراهيم بن أدهم «رحمه الله» في سوق البصرة فقالوا له ياأبا اسحاق ان الله يقول ﴿أدعوني أستجب لكم﴾ ونحن ندعو فلا يستجيب لنا!!

قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء، هي:

أولاً : عرفتم الله فلم تؤدوا حقه.

ثانياً : قرأتم القرآن فلم تعملوا به.

ثالثاً : ادّعيتم حب الرسول (ﷺ) فلم تعملوا بسنته.

رابعاً : قلتم انّ الشياطين عدوكم فوافقتموهم.

خامساً : قلتم انّكم مشتاقون إلى الجنّة فلم تعملوا لها.

سادساً : قلتم انكم تخافون من النّار فلم تهربوا منها.

سابعاً : قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له.

ثامناً : اشتغلتم بعيوب النّاس وتركتم عيوبكم.

تاسعاً : أكلتم نعم الله فلم تشكروه عليها.

عاشراً : دفنتم موتاكم فلم تعتبروا.

فكيف يستجاب لكم!!!

هذه صورة مثال النعل النبوي الشريف

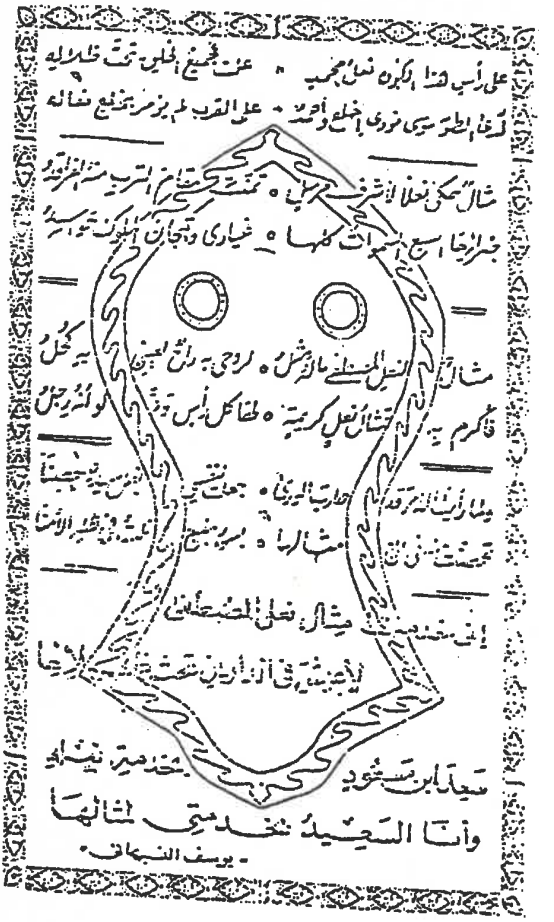

آخر ما قرأت من كتب للرد على يوسف النبهاني صاحب كتاب «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق» هو كتاب الشيخ عبدالقادر حبيب الله السندي الذي عنوانه «الضوء القرآني والسنى على عقيدة النبهاني».

الأناشيد الإسلاميّة

الأناشيد الاسلامية:

قرأت تعقيب الأخ الكريم الشيخ الدكتور /صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان في مجلة الدعوة العدد ١٠٥٠ في ١٤ /١١ /١٤٠٦هـ على ما نشر في العدد ١٠٤٦ للأخت الفاضلة المحترمة /تغريد العبد العزيز حول الأناشيد الإسلامية، وحثها على الاستزادة منها لتحل محل الأغاني الهابطة التي لا ينكر وجودها وانتشارها، وهذا هو المفهوم غرضاً لها، أو هو أحد أهدافها كما أَوْضحتْ، مثل قولها المدروس نفسياً بأنها أي الأناشيد تلهب الحماس وتوقد في النفس جذوة الإيمان.

ويرى الشيخ صالح أن ذلك زعم بينما هو حقيقة أثبتها التاريخ وعززت أثرها التجربة، وليس التنظير كالتجريب والتطبيق، ولنبدأ بصفوة الخلق إمام الهدى ﷺ حيث مما قال:

أنـا النبـي لاكـذب أنـا ابـن عبدالمطـلب[1]

(١) مجموعة الرسائل الكمالية في الأنساب لمحمد سعيد كمال ص ٧.

وإذا كثُر ما قيل فلو لم يصح بعضه ــ افتراضاً ــ فتكفي صحة البعض الآخر مما قاله ﷺ وهو إنشاده لقول غيْره.

وما قاله ﷺ ــ إن صح ــ فيه إيقاع بين ملموس، ولو أنه يتيم أو نادر لأن الله سبحانه ما علمه الشعر وما ينبغي له، لكنه ﷺ ــ ردّد الشعر وأعجب به، ومما مر بلسانه عليه أفضل الصلاة والتسليم بيت عبدالله بن رواحة رضي الله عنه القائل:

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

والواقع مع الواجب يحثّان على أن من سمع أو قرأ ما اجتُهِد فيه ولكنه لا يسلِّم بنتائج الإجتهاد فيه، وأن الإجتهاد بما سواه أفضل وأمثل لمستقبل النشء وحاضر الأمة الإسلامية، الواقع مع الواجب يحثان على عدم تجاوز المسموع أو المقروء دون توقف وإسهام برأي مبني على ركيزة وضياء منار ومسار المثل القيمة للإسلام والأهداف الواعية الصادقة المتجردة، وبذلك يلتقي المجتهدان: المخطيء والمصيب ــ والله أعلم بالصواب ــ في مسلك واحد هو سبيل الرغبة في الوصول إلى الحق مع رجاء تحقق الأجر للجميع وتمتين عُرى الأخوّة.

يقول الأخ الدكتور /محمد بن سعد الشويعر في كتابه: عبدالله بن رواحة ص ١٠٧ متحدثاً عن رسول الله ﷺ «... ويحمس أصحابه الذين كانوا يستعينون على أعباء العمل بترديد الأراجيز الشعرية التي يقولها عبدالله بن رواحة، فإذا قالها بمن معه رددها الآخرون بصوت جماعي والرسول الكريم ﷺ يشاركهم الكلمة الأخيرة من الشطر، والتي تمثل القافية فقط، ولا يقول السطر كله، وأبيات عبدالله الرجزية هذه هي:

أفلح من يعالج المساجدا ويقرأ القرآن قائماً وقاعدا
ولا يبيت الليل عنه راقدا ومن يرى عن الغبار حائدا[1]

وفي ص ١٠٩ يقول: «ورجز عبدالله بن رواحة رضي الله عنه كان نموذج الشعر المستحسن من الصحابة لما فيه من:

- خفة الوزن
- سلاسة في الأسلوب
- قصر في المقاطع
- صدق في العبارة
- تعبير عن الواقع المحسوس
- دفع للنفس في الارتباط بالعقيدة
- إحساس بالعمق الديني.

(١) السيرة لابن هشام ٤ /٤٢.

وفوق هذا كله تأييد من الرسول الكريم ﷺ لمثل هذا الشعر الذي يتفق مع منهج الإسلام، دفاعاً وتوضيحاً فهو كلام يرغب فيه، ويحمس من أجل العمل للدفاع عنه وإثبات دعائمه».. وما أكثر ما قال ابن رواحة رضي الله عنه مثل أبياته التي مطالعها:

١ ــ أقسمت يانفس لتنزلنه لتنزلن أو لتكرهنه
٢ ــ يانفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
٣ ــ يارب لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وبهذه الأبيات كان عامر بن الأكوع يحدو رضي الله عنه في غزوة خيبر، وقد قال فيه رسول الله ﷺ عندما سأل عن السائق فعرفه: «يرحمه الله»[1].

وهي من الأناشيد التي يرددها شباب الإسلام اليوم مع غيرها. وعبدالله ثالث ثلاثة، والآخران هما حسان بن ثابت وكعب بن مالك ولكل منهم باع طويل في هذا الشأن رضي الله عنهم، وهم بإذن الله من المستثنين في آيات الشعراء، وشعرهم

---

(١) متن البخاري بحاشية السندي ٤ /٧٣، وفيه يبدأ البيت الثالث ب: «اللهم» بدلاً من «يارب».

والشعر الإسلامي الملتزم بحدوده والمردّد بعدهم والمنشد، لعله من الذي قال عنه ﷺ: «**إن من البيان سحراً**»[1] «**إن من الشعر حكمة**»[2].

هذا فيما يتعلق بالشعر ذاته، وللاستطراد بداية وليست له نهاية قريبة لوْجرّنا، ولربما يقول الشيخ الكريم صالح الفوزان:

أنت تتحدث عن الشعر، وحديثي عن الأناشيد، فنقول للأخ الكريم دعنا الآن نفرغ من مسألة الشعر التي هي مادة الأناشيد، وقد مرّ معها الحداء، وليلاحظ أن رسول الله ﷺ القدوة لم يقل للشعراء الثلاثة وغيرهم: دعوا الشعر والرجز والترديد في الجهاد والعمل وغيرهما، واكتفوا بقراءة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وإنما اعتبر التنويع متمماً للبناء مادام مندرجاً تحت رايته وطبيعته غير ظاهر عليه، وهو على نحو أو آخر يتمشى مع قوله ﷺ: «**روحوا قُلوبكم ساعة فساعة**» رواه أبو داود[3].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٥ /٤٥.

(٢) متن البخاري بحاشية السندي ٤ /٧٣، وقد ذكر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ٣ /١٤٠ عدة مراجع ورد فيها هذا الحديث.

(٣) منهاج الصالحين لعز الدين بليق ص ١٩٦ رقم ٢٦٧.

أما مسألة الإنشاد، فقد ورد فيما أوردت أيضاً ما يدل على ذلك، كالأبيات التي قيلت أثناء بناء المسجد وللمزيد يمكن التذكير بإنشاد بنات النجار المرحبات برسول الله ﷺ:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع[1]
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وتزيين الصوت في قراءة القرآن الكريم والأذان ليس إنشاداً ولا غناءً ولكنه تحبيب وجذب للسامعين.. والملاحظ ــ كما يبدو ــ أن الأخت الفاضلة /تغريد العبدالعزيز ما أرادت أن تحل الأناشيد محل القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولكن أن تأتي بعدها لكن مع عناية واهتمام ورعاية وحسن إنتاج وانتقاء وإخراج لتواجه الأغنيات الساقطة الهابطة المنتشرة، ولتقوم الأناشيد بدورها المنوط بها. وهي أي الأخت وغيرها لا يختلفون مع الأخ الكريم الشيخ صالح في كل ما أورده في النصف الثاني من العمود الأول من تعقيبه رغم إيهام الإيراد بذلك الاختلاف، هذا ما فهمت وهو قابل للإلغاء.

لكن الاختلاف معه يبدأ من قوله في العمود الثاني «وأما

---

(١) البداية والنهاية ٣ /٢١٦، والبيان والتبيين ٤ /٥٧، طالع ص ١٠٣ من هذا الكتاب.

الأناشيد فإنها لا تفقّه في دين الله ولا تبصّر بالعقيدة الصحيحة ولا تقوى الإيمان في النفوس وإنما يطرب لسماعها ويتلذذ بنغمها وترانيمها السذّج، هذا **إذا كانت خالية من الأهداف السيئة** كإثارة الفتنة الخ، لقد قلت هنا ياشيخنا كلاماً يحمل معاني كبيرة، وماذا لو غيرك قالها، وعندما أحاورك هنا أتوقع منك أن تقول لي ولغيري: «لا خير فيكم إن لم تقولوها» كما أود الإيضاح هنا أني لا أرد مصوِّباً، ولكن أضع نقاط مساءلة أو آراء واردة لتنتظر منكم التصويب والإيضاح والتبيين. لكن كيف يقال عن الأناشيد الخالية من الأهداف السيئة كل هذا؟!!

فأما أن الأناشيد لا تفقه في الدين فذلك ليس صحيحاً كما يبدو لي، فإن منها، وأقول منها ما يفقه في الدين، فالرحبية مثلاً تفقه في الفرائض، وهي صيغت شعراً يمكن إنشاده من قبل الفرد أو المجموعة «والنونية» كذلك في فنها، ولها مثيلات.

فلغة القرآن صيغت قواعدها في أكثر من الفية يمكن حفظها وترديدها بإيقاع لكيلا أقول بنغم، أو دعني أقول بإنشاد وتغنٍّي:

أول ما نستفتح المقالا بذكر حمد ربنا تعالى

أو ما سمعت من يرددها بتغنّي.
ومن الفقه الفرائضي «الرحبيّة».

والثلث فرض الأم حيث ولا ولد ولا من الأخوة جمع ذو عدد

وما أكثر الأمثلة:

نحن الذين بايعوا محمدا .....

واترك للقراء تكملة البيت المنشد.

فهذه الأبيات وأمثالها كثير منوع، وبعض الأناشيد النقية فيها تبصير بالعقيدة الصحيحة أو تفقُّه في الدين، أو تقوية للإيمان أو حث على فعل الخير وتجنب الشر، وإلا لما سمعها رسول الله ﷺ وأقر ترديدها، وربما شارك أيضاً في ترديد الأشعار التي صارت تسمى أناشيدا حيث جاءت من أنشد انشاداً أي قال شعراً والشعر يتميز عن النثر بالإيقاع، ومسألة أنه لا يسمعها إلاّ السذج هذا إذا كانت خالية من الأهداف السيئة، فهذه لا اتفاق عليها وهي موجعة وربما صح ان نقول أو تقول هنا: أصابت امراة وأخطأ صالح. وأهازيج الحرب كانت تنشد وتردد، وما قال قائل أوقفوها واقرأوا القرآن بدلاً منها، فلكل «مقام مقال» والاملال منبوذ والإكثار على وتيرة واحدة يُمِلُّ، وهو منهي عنه مع النهي عن الغلو، والتخول محبب مرغب فيه.

ولا بد أن يضع المرء في حسبانه اختلاف طبائع البشر ولا توجد في الأناشيد الإسلامية أهداف سيئة كإثارة الفتنة والتحريش بين الناس، أو التحريض على البغي، أو الإغراء بشهوات النفس وغير ذلك من المقاصد الدنيئة التي قد توجد في الأناشيد غير الإسلامية ــ وهي ليست موضوع البحث ــ وما وصفت الأناشيد الخالية من الأغراض الرديئة بالأناشيد الإسلامية الاّ لتمييزها عما سواها بسعيها للخير ونبذها للشر، وأنها تتقيد بالتعليمات الدينية الراشدة والأخلاق الإسلامية الحميدة، وخاصة المباشرة منها.

وقول الشيخ صالح «وتسمية الأناشيد بأنها إسلامية يعطيها شيئاً من المشروعية وأنها من الدين ــ وهذا شيء لم يقل به الاّ ضلال الصوفية».

يوحي بأن الذي في ذهن الشيخ صالح وأمام عينيه حقيقة أو تصوراً هو أناشيد المتصوفة، أما الأناشيد التي تدعو للإسلام وتتقيد بتعاليمه فلا يمكن تمييزها عن غيرها من الأناشيد الأخرى أو الأغاني إلاّ بنسبتها إلى موضوعاتها ومضامينها ومواطن اهتماماتها والقاسم المشترك بينها، وموضع التقائها، وهذا منطق الترتيب والتنظيم والتصنيف والتعريف والدعوة والتوجيه.

وأما من اعتقد بأن نسبتها للإسلام يعني مشروعيتها كأن يكون قد ورد فيها آية قرآنية أو حديث شريف أو غير ذلك من أصول التشريع ــ وهذا واضح أنه مرجوح ــ فإنه يمكن أن يوضح له ويرشد، ويبين له أن الأناشيد ليست من العبادة المنصوص على فعلها، وإن لها قيودها واحترازاتها، وإن كان صالحها مما يثاب عليه إذا جاء في محله وحسنت النية فيه، ولم يتجاوز حدوده، ولم يُلْهِ بتقصير عما هو أهم منه.

والنسبة والتمييز ليسا بالضرورة تشريعاً، وإنما هما مثل الأسماء والألقاب المعرِّفة كأن يقال: فن العمارة الإسلامي، والكاتب الإسلامي، والكتب الإسلامية، والدول الإسلامية، والمنظمات الإسلامية، والمخطوطات الإسلامية، والاقتصاد الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، وعلماء الإسلام، وشيخ الإسلام، والجمعيات الإسلامية، والمصارف الإسلامية، والمجلات الإسلامية، ومنها التي كتب بها الشيخ صالح رأيه فهي تقول على غلافها إنها: إسلامية أسبوعية جامعة.

ويقول الشيخ صالح «... فتسمية هذه الأناشيد بأنها إسلامية هو من باب التزييف، والترويج لها، والمجاراة لمذهب الصوفية». وهذا العنف في الرأي والاتهام والتعميم والاطلاق جاء نتيجة

التصور والتخوف الشديد من الصوفية المنحرفة، فجرف التخوف معه السيِّء، والحسن على السواء.

والأولى ــ مع الدقة والتحديد ــ الاعتراض على أناشيد الصوفية وأهل السماع، والاعتراض على ادعاء إسلاميتها، وليس الاعتراض على كل الأناشيد، لأن من الأناشيد ما تعترض عليه الصوفية ذاتها كأناشيد العمل والجهاد، وهي في مواضعها مما كان عليه ﷺ وأصحابه، والصوفية ليست أناشيداً فقط، وإنما هي ضلال عقيدة، وفساد عقل، وانحراف مسلك وتثبيط وإحباط، والصوفيون ــ ولا أعني الزهّاد ــ هم ثمرة خبيثة لسوء أحوال الأمة الإسلامية، وضعف التمسك بالمبادىء الإسلامية وأكثر ما يظهرون عندما يسيطر على أمة الإسلام عدوها فيشجعهم لأنهم إما مستسلم قانط يائس، وإما جاهل مغرّر به إمعه، وإما انتهازي مُضَل مُضِل يفسر القرآن على هواه، وأهم مبادئه التي يعمل من أجلها محاربة العمل والفعاليات المؤثرة في الناس ومعاداة الجهاد، ولذا فمما ترفضه الصوفية كل نشيد مثل

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حيينا أبدا

أو قد تفسر المعنى على هواها، كما تفسر آيات القتال والجهاد. وللتصوف أحوال تختلف درجاتها، وقد يلتقي المرء

معها في جزئيات وهو لا يعلم: فمنهم من يدعو لقراءة القرآن والعبادة والإنقطاع التام لها وعن الدنيا وأمورها، ولعل من مثل هذا قصة الثلاثة الذين قرروا التطرف وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فمنهم من قال اصوم الدهر، وثانيهم قال أقوم كل الليل، وثالثهم قال لا أتزوج النساء، تديّناً بالطبع ــ كما يبدو ــ فغضب منهم رسول الله ﷺ واعتبر من رغب عن سنته ليس منه[1]. ومنهم أو على شاكلتهم من أقام ليله ونهاره في المسجد فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أمتّ علينا ديننا أماتك الله» أو كما قال. لكن على ألاّ يحدث العكس، والتوازن مهم جداً، والتوقف السليم هو الذي يتم عند خط الوقوف، وهؤلاء أخطأ مسارهم فصوبه رسول الله ﷺ ثم من سار على نهجه.

ومن يركز على العقيدة فقط، ويهمل الأفعال المتممة المصاحبة سواء كانت عبادة مشروعة أو شبه مشروعة ــ إن جاز التعبير ــ كالطوعية، فقد يلتقي مع بعض الصوفية في مسألة تعطيل الأعمال، أو بعضها، أو أحدها مما يستحسن ويحتاج إليه، وإن اختلف عن الصوفية بكون عقيدته سليمة صافية في مثل مسألة التوحيد باقسامه، ولست أعني هنا شيخنا

---

(١) رياض الصالحين ص ٧٨، رقم الحديث ١٤٣.

الكريم صالح فهو لم يقل بهذا حسبما فهمت، ولكن أورد التنبيه خشية اللبس وخطأ الفهم، ولتصور وجود تساؤلات. ومن يقول المهم العقيدة وما عداها يغفره الله ــ إن شاء الله ــ قوله صحيح في أهمية العقيدة وفي مغفرة الله ــ إن شاء ــ لكن التهوين والتسهيل فيما عداها وتغليب الرجاء بفارق شاسع على الخوف قد يجرىء الكبير والصغير على الاستهانة بالذنوب، والاستزادة من المعاصي، والأصرار عليها، وتقويض أخلاقيات الإسلام وسلوكياته فيتهاوى بناء المجتمع المنشود الذي صممه الإسلام لمعتنقيه فاتقن تصميمه وأحسن بنيانه. ولعل القائل نسى أنه «لا يزني الزاني حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» وأن «الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية» وأن الكمال لله والعصمة للأنبياء، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ ويقول في هذا المعنى وما أكثر ما قال جلت حكمته: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾ الخ. وجزى الله الشيخ صالح بالخير فلقد دعا للاهتمام بالأحكام الشرعية، والتفقه في الدين، ولكني استطردت عارضاً صور ووجوه الأمر وأبعاد المواقف المختلفة، وللإحساس بأن الاهتمام بالعقيدة يأتي أولاً، ولكن ذلك لا يعني نقصان أهمية الجانب العملي والسلوكي الذي يتطلب مع التفكر في ان الله سبحانه غفور رحيم بأنه أيضاً شديد العقاب، و«إن بطش ربك

لشديد» وذلك ليتفاعل ويعمل في نفوسنا جانباً الخوف والرجاء معاً بتوازن وشمول لجانبي العقيدة والعمل. وضعف العناية بالمعاملة والعمل والسلوك من أهم المآخذ على المتصوفة بعد تطرف بعضهم في مسائل الاعتقاد والإيمان.

ونحمد الله أن هذا الدين يسر، وأننا دعينا لنوغل فيه برفق، وأنه ما شاده أحد إلاّ غلبه، على الاّ تفسر هذه الحكم البالغة الفذة على نحو شاطح أو متأثر بفعل متطرف يجيء الرد عليه برد فعل مماثل في تطرفه وان خالف الاتجاه، أو يفسر للاستهانة بتعاليم الدين لنتصور ذلك ضمن يسر الدين!

ويقول الشيخ صالح: «والصواب أن تسمى أناشيد عربية، ولا تجعل لها صبغة الديانة، ولا تجعل ضمن البرامج الدينية بل ضمن البرامج العربية التي يقصد بها تقوية لغة الأولاد» الخ.

وهنا يتبين أنه لا يعترض على المضمون وإنما على التسمية: العنوان، وعلى الموقع وإن لم يمكن الجزم بذلك لأنه أوحى في موضع آخر بأن المضمون الفكري الديني ما هو إلاّ صوفيّ أو ما يشبهه، وفيه تشبه بالنصارى! وبذلك يختفي في موضع آخر ما تبيّن هنا ولست ادرك معنى الاّ تكون ضمن البرامج الدينية، والدين الإسلامي له صلته وعلاقته بالصغيرة والكبيرة في حياتنا

وكل أمورنا ثم إن النشيد إذا كانت أفكاره إسلامية أو قيل في مناسبة إسلامية كحروب الرسول ﷺ، أو بناء المسجد أو الترحيب بمقدمه ﷺ فإنه يجعل البرنامج العربي برنامجاً دينياً، لكن ما المقصود بالبرنامج الديني هنا؟ إن كان المراد ألاّ تأخذ الأفكار صبغة الديانة أي العبادة المشروعة المحددة مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج وقراءة القرآن، فهذا ما يجب إيضاحه والاقتصار عليه، أماما كان دعوة وتوعية وطوعية عمل يتجه إلى دين الله دون خروج عنه بل ربما اقتداء بالنبي ﷺ والشعراء من أصحابه في ظل كل الحدود والقيود المشروعة والمتبعة فلا مانع يبدو لنقول: لا يوضع ذلك في برنامج ديني، فنحجر على أنفسنا ما وسع الله علينا فيه، أو نتشدد كما تشدد بنو إسرائيل في مسألة البقرة. ومنع المباح كإباحة الممنوع.

وبعد أن قال الشيخ صالح في نصف العمود الأول «ياأخت كان الأجدر بك أن توصي هذه الجهات بدراسة كتاب الله وسنة رسوله والعناية بدراسة العقيدة الصحيحة والأحكام الشرعية» فأوحى بأنه لا داعي للاهتمام بالأناشيد «الإسلامية» لمواجهة الأغاني الماجنة، عاد بعض الشيء، ولعله يمكن التوفيق بين وجهة نظره في أول الموضوع التي لم تقتصر على الاعتراض على التسمية فقط ووجهة نظره القائلة بدءاً من آخر العمود

الثاني «وكان المسلمون ينشدون الشعر لأجل روايته وحفظه أو لازالة السأم والفتور عند مزاولة بعض الأعمال أو لحداء الإبل في السفر، وقد حصل شيء من هذا بحضرة الرسول ﷺ فأقره فدل على إباحته في تلك الأحوال وعلى هذا النمط، فغاية ما يقال إنه مباح ما كان من هذا النوع».

ولم يذكر الحماس، وللمثال غزوة مؤته ماذا أنشد المتعاقبون على حمل الراية، ثم أليس النشء والبراعم إذا انشدوا:

الحمد لله الذي هدانا. وغيره مثل:

تعلمـــوا ياإخـــوة الإيمـــان تعلموا الحديث والقرآن

يتعرضون لتوقد جذوة الإيمان في نفوسهم؟ على أن الأسباب التي ذكرها أو بعضها هي من دواعي وجود الأناشيد الآن أيضاً. ثم ألا يؤجر حسان وكعب وعبدالله ــ إن شاء الله ــ رضي الله عنهم على ما أنشدوا من كلام طيب يواجه الكلام السيء ويؤدي دوره النفسي والاجتماعي والثقافي والترويحي المرغوب بين حين وآخر، والكلمة أحياناً أبتر من السيف.

وإذا أبيح تسجيل القرآن الحكيم في الأشرطة وهو لم يحدث في عهد رسول الله ﷺ فما المانع من إباحة تسجيل الأناشيد والأشعار الإسلامية سواء قيلت في عهد رسول الله أو

بعده؟ أشعار الدعوة والتوعية والحث على طيب الأعمال الصارفة عن سيء الأقوال والأفعال.

أما تسمية الأشعار والاناشيد بالعربية فقط بدون تمييز بين نشيد من تأليف مسلم ملتزم، وموضوعه إسلامي ملتزم، وبين أناشيد عربية من تأليف صوفية مارقه، أو عرب غير إسلاميين أو غير مسلمين فذلك قصور في التعريف والتصنيف وقد يحدث خللاً في التوجيه والمراد ورسم المسار فأناشيد التعظيم باسم الوطن، وباسم الشعب تختلف عن أناشيد الدعوة، كما تختلف أشعار الوطن وأشعار القومية وما شابهها عن مثل هذه الأبيات:

فيأيها الحي اليماني دونكم نداء إلى التوحيد لبوا لداعيه
وهذا كتاب الله يحكم بيننا ويشهد بالحق المبين ويقضيه

ومما ينشر هذا النداء الإسلامي وما ينطوي عليه أن ينشد ويثبت على السنة الشباب:

إلى الله في كشف الشدائد أفزع وليس إلى غير المهيمن مفزع

فإذاً، الأناشيد العربية أنواع وصنوف، وإلغاء المستحسن من أجل التخوف مما لم يحدث تحرزٌ يتجاوز حده، وربما انقلب إلى ضده، وفوّت فرصاً وخيراً، والأخذ بالمحرمات يقرب منه في السوء ترك المستحسنات تحريماً، ولذا يجب التوقف باتقان عند

الحد تماماً، لابعده ولا قبله بمسافة قد تضيع ما لاداعي لإضاعته وفقده، إن من يتقهقر للابتعاد عن حافة الهاوية عليه الفطنة إلى أن الرجوع يبعده أكثر عن الوقوع، ولكن عليه في نفس الوقت أن يفطن إلى عدم الوقوع في الجانب المضاد، في هاوية أخرى ــ لا قدر الله ــ وكل معرض لذلك إن لم يراجع نفسه ويتفقدها ويحاسبها بين حين وآخر ليتأكد من موقعه، والقياس والمعيار موقع رسول الله ﷺ وأصحابه الأبرار رضوان الله عليهم.

أتمنى ــ إن لم يكن الشيخ صالح قد فعل ــ أن يسمع بعض أو كل أناشيد التوعية الإسلامية مثل أشرطة المراكز الصيفية والرابطة ١ والرابطة ٢، والبراعم، والوردة الحمراء، والوردة البيضاء والصفراء، والدمام، وغيرها للشباب والأطفال وسيجد لها بإذن الله تأثيراً فعالاً محموداً وبخاصة إذا تقمص أو تصور نفسية وسن الناشيء والتلميذ والتلميذة الذين وجدوا لزمان غير زماننا، وسيلقى لها دوراً يختلف تماماً عن دور شعر الصوفية المارق المغالي، وسيلمس اختلافاً في مشاعره نحو شعر التوعية وشعرٍ آخر منه ما يكاد يؤله نعل رسول الله ﷺ مثل:

ولما رأيت الدهر قد حارب الورى جعلت لنفسي نعل سيده حصنا

تحصّنت منه في بديع مثالها بسور منيع نِلتُ في ظله الأمنا

وفي هذا الكتاب موضوع خاص بذلك. أسوق هذا القول لمن لا يقرأون الكتاب من أوله!

ومثل شعر الغلو في محمد ﷺ حتى أعطى صفة ربه جل وعلا:

ياأكرم الخلق مالي من الوذبه سواك عند حلول الحادث العمم

ومثل: يارسول الله خذ بيدي، بدلاً من قول: ياالله الكون خذ بيدي، أو ياعظيم الشان.

وإن لم يكن في الأناشيد الداعية للإسلام ومثله وقيمه من خير إيجابي يدعو لوجودها، ففيها مدافعة ومكافحة لشرور أغنيات أشرطة تسجيل وفيديو جديرة بالمكافحة والملاحقة، ولا يكفي لاجتذاب الأنفس الاقتصار على القرآن الكريم والسنة الشريفة كاحاديث رغم أنهما القمة، والوجبة الرئيسة، والطبق الأساسي للفكر والروح والجسد، ولكن معهما ومع وقتهما الأوسع والكثيف تأتي المقبلات، ومن ليس مسلماً قد لا يدخل الإسلام إلاّ بعد فكرة في مقالة أو نشيد أو سلوك ثم بعد بوادر الإقناع تأتي لديه قراءة القرآن الذي لا يمسه إلا المُطهرون، إن البرنامج ذا الطابع الديني في الفيديو أو أشرطة التسجيل يختلف

تماماً عن برامج أخرى، وإن الأناشيد الحاثة على قيم الإسلام سلاح مواجهة في أوقات الفراغ الشبابية ووسيلة مغالبة للأغنيات المخدرة المدسوسة على الأذن المسلمة في زمن التأثير الإعلامي الفعال بمختلف وسائله المرئية والمسموعة والمقروءة، مثل أغنية الدكتور اللواء الموسيقار محمد عبد الوهاب:

الدنيا سيجارة وكاس للي هجروه الناس

ياويل اللي مالوش (أو مالهش) كاس!

ليس الويل لمن معه كأس!

الويل هنا لمن ليس معه كاس!!

ومثل أغنيته الأخرى «الكاس بين ايديا» ومثل: «ليلنا خمر» وما شابه ذلك من أغنيات جانحة غاوية ضالة ومضلة، وكذلك مثل «زارنا في الظلام يطلب ستراً». ما مدى مشروعية هذه الزيارة اجتماعياً فضلاً عن الجانب الديني الأهم.

وغير ذلك كثير كثير يصعب على الحاصر، حتى في أمور الجنس و«الأدب» المكشوف، والحلف بحياة عينيها وما إلى ذلك.

أو ليس من الضروري مزيد من التمييز بين أنشودة أو أغنية عربية وعربية لتوصف كل واحدة بسماتها.

وأذكر أيام العدوان الثلاثي على مصر العربية أن من الأناشيد التي ظهرت حينذاك نشيداً مشهوراً يقول مطلعه:

الله أكبر فوق كيد المعتدي والله للمظلوم خير مؤيد

فاعترض احسان عبد القدوس في مجلة روز اليوسف على النشيد بتهمة أن فيه اتكالية، ولم يفرِّق بين التوكل والاتكالية، وهو الكاتب المعروف ابن الكاتبة المعروفة روز اليوسف «فاطمة»، ووالد الكاتب الإسلامي المعروف محمد عبد القدوس، عفا الله عمن ثاب وتاب وأناب.

لنا أن نتصور تنوع التأثير واتجاه الشعور إذا سمعنا نشيداً يدعو للإسلام والإيمان والعمل والاعتماد على الله أو نشيداً يقول المجد والخلود للوطن. وطبيعة الناس وبخاصة الناشئين التفاعل والتجاوب ــ في الغالب ــ والترديد والتأثر.

ولا يمكن أن يقال عن النشيد المتفق مع تعليمات الإسلام ومنهجه الأخلاقي مقارنة بالأغاني الماجنة أو المارقة«...لكن ليس البديل منها أناشيد أخرى قد يكون استماعها أشد إثماً إذا

اعتبرناها دينية وسميناها إسلامية، لأن هذا يعتبر ابتداعاً وتشريعاً لم يأذن به الله والبديل الصحيح» الخ..

لن تكون بإذن الله أشد إثماً أو حتى آثمة لأنها إنما اعتبرت دينية أو سميت إسلامية لاتجاهها والتزامها، لا لأنها مشرّعة، والمحتوى أهم من مجرد التسمية التي لا تعني بالضرورة إرتباطها بتشريع مباشر بها فيه نص وتحديد وتعيين صريح، والتمييز يتطلب اختصار التعريف خلافاً للشرح، ومسألة التشريع ــ كما سلف وكما هو معروف ــ تعتمد على المصادر الأساسية له، وما عرف من أسس ونظم وأدلة فقهية أصولية، وكما يقال: محاضرة دينية يقال نشيد ديني. والمحاضرة ليست منقولة وإنما هي حديثة بدون حداثة، لكن مع إيضاح في مناهج التعليم ووسائل الإعلام وخاصة المجلات الإسلامية بأن النشيد ديني الاتجاه، وليس التشريع. وهذا يكفي كإيضاح يؤكّد ويعدّد. ولا يعني الوصف لزوم صفة التشريع بل قد يعني التصنيف والاتجاه والسِّمه، وهذا ما يخاطب به ذوو الألباب والأحلام والحجر والنهىٰ الذين يعقلون ويعلمون ويتفكرون ويتدبرون.

وان كثيرين ممن تعجلوا اصدار آراء بأحكام ــ وأرجوا ألاّ أكون منهم من حيث لا أدري ــ ثم تبين لهم فيما بعد خلافها

يشعرون بأن التروي ضروري في مسائل التحريم وتهم الابتداع.

ومن يتعامل مع النشيد كتعامله مع العبادة المشروعة تماماً يقال له إذ ذاك ما يدل على الاعتراض عليه في عدم تفريقه بينهما، أما من يفرق بين المستحسن الطوعي المقيد والمنسجم مع تعاليم الإسلام ومساره وبين المفروض شرعاً فليس من الصالح لأمته تعطيل المصالح المرسلة والأساليب المباحة، والوسائل المستحسنة المعضدة لمجرد خشية غير واردة، وإن وردت فوقتئذ تأتي مسئولية معالجتها، ولنعد للقول بأن تعطيل ما فيه خير أو الإتيان بما فيه شر كلاهما شر لا خير فيه، وعسى ألاّ يجر إثماً، والأعمال بالنيات مع الاحتراز غير المتجاوز، والقيود البعيدة العديدة الشديدة باسم العقيدة قد تعرقل توابع العقيدة من السير معها، والمحافظة في التمسك بالعقيدة الإسلامية تعني التقيد والتمسك بكل أصولها وفروعها المشروعة المطلوبة والمعينة إذ الإيمان «قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح» وعلى هذه الرواحل الثلاث يضع المؤمن عتاده ومؤونته ومتاعه وما يلزمه في رحلة حياته.

والشرك الخفي ــ كغيره ــ لا بد من الحذر منه، لكن بالقدر السليم الذي لا يوقع في مثله من كثرة التقهقر عن

الطرف إلى الوسط ثم من الوسط إلى الطرف الآخر فإذا بمن هرب من الطرف والتطرف يجد نفسه في تطرف على الطرف الآخر ــ لا قدر الله ــ وقد لا يصل الأمر للتطرف لكن إلى الوقوع في محذور محظور دونه[1]، لذا فقياس المسافات مهم، ولو دعا الأمر إلى استعمال موازين كموازين الذهب أو أدق على ألا يتغلب مبدأ الرفض أسلم. فالتوقيف أحياناً تعطيل وتفويت. ويُخشى أن ينفتح باب حجة للمتصَوفة والمتدروشة وأمثالهم بادعاء الغلو المضاد والابتعاد عن التوسط، حيث الصحيح ألاّ افراط ولا تفريط، ولا نقص كالزيادة وزيادة كالنقص.

فقد يأتي من يقول: انكم تحرمون ما ترون تحريمه باجتهاد يتجاوز حدوده في الاحتراز حتى أصابت الحرمة ما قد يباح أو يستحسن أو ما فيه خلاف، أو هو مجال تبصر أكثر قبل النطق بالمنع الذي يجب أن تجفل منه النفس كما تجفل من كلمة الطلاق مثلاً.

وليس معه حق مؤكد في ذلك بإذن الله، ولكنه أو لعله مثل ذلك الشخص الذي سمع متحدثاً يدعو للتقشف والزهد

---

(١) اضطر لتكرار هذا المعنى لأهميته البالغة وقد علمتنا بعض آيات القرآن الكريم أهمية التكرار لابقاء الآثار.

والخشونة، فلم يجد رداً عليه يداري به ما هو فيه من ترف وميوعة فأراد ليفسد وجهة نظره أن يتهمه بالتطرف، فقال له: «إذاً إخْصِ نفسك، وأرقد في المسجد وعش على هذا النحو» لقد عرف أن التطرف في وصف الحالة والمراد هو الذي يقوض فكرة الرجل المعتدلة الداعية إلى الزهد فقط لا التصوف والتدروش والخروج عن المألوف وتعاليم الإسلام، لكن المتطرف يقيم حجة على نفسه، ويضعف موقفه، ويسيء إلى فكرته من حيث أراد الإحسان، وبخاصة عندما يضخم الشيء عن مقدار حجمه الطبيعي.

ويختم الشيخ صالح تعقيبه بقوله «والبديل الصحيح هو تسجيل القرآن الكريم والأحاديث النبوية والمحاضرات المفيدة في الفقه والعقيدة والمواعظ النافعة....» الخ.

وبودي هنا أن أسأل ما الذي يمنع الأناشيد النافعة ولا يمنع المواعظ النافعة وكلاهما وجدا في العهود الرائدة الراشدة، وهل إذا تغير اسم الأناشيد من إسلامية إلى الأناشيد النافعة مثلاً أو أناشيد التّوعية أو أناشيد الدعوة، تكون مستحسنة أم لا؟ وذلك لتوجِّه وتجتذب وتذب وتكافح ما يناقض أغراضها؟ ولتكون سلوى أوقات الفراغ والترويح. وهذا ما يحتاج إلى آراء ونقاش

واستخلاص نتيجة، وقد يكون الواعظ في سن المنشد وهيأته.

أما آخر قول الشيخ صالح وهو «هذا هو البديل الصحيح لا أناشيد الصوفية وأشباههم» فيرد عليه ــ مع الاحترام ــ بأن الأناشيد لم تكن بديلاً عن القرآن أو الحديث، وإنك هنا تتحدث عن أناشيد الصوفية وأشباههم، واعتقد أن الأخت تغريد وربما أكثر أو كل قرائك وأنا معك بالنسبة لأناشيد الصوفية ومدائحهم، لكن الأخت تغريد لم تهتم وتحث على وتدعو لأناشيد الصوفية وإنما للأناشيد التي يمقت موضوعاتها الصوفية ذاتهم حسبما فهمت عن الصوفية وهذا ما لسنا معك فيه، فكم نتمنى ــ وأنت معنا على ما اتوقع ــ إن جازت الأمنية أن نكون مع رسول الله ﷺ ومع صحبه وعبدالله بن رواحه رضي الله عنهم أقوياء النفس والإيمان والجسد لنبني المسجد مرددين بصوت مسموع للجميع منشدين:

افلح من يعالج المساجدا ويقرأ القرآن قائما وقاعدا

ولربما تمنت الأخت تغريد أن تكون مع بنات النجار لتقول:

وجب الشكـــر علينـــا مادعـــــــا لله داع

● أعود مرة أخرى للحديث عن الشرك الخفي معتقداً كثرة

صوره وأن من يقع في حالة من حالاته قد لا يراها، وإذا وقع غيره في حالة أخرى أحس بها وأدرك وجودها، ومنه الخوف والرجاء من وفي الرئيس في العمل أكثر من الله سبحانه، والله أحق أن تخشوه، ومنه الطمأنينة في الصلاة إذا شوهد المرء، وإن لم يشاهده أحد من الناس نقر الصلاة وكأنه يصلي للناس، ومنه الاستهانة بالكبائر والفرائض، «والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية» ونقص الإيمان قد يكون بدوافع ذات صلة بالشرك كعبادة الدرهم والدينار وفي عصرنا الدولار حيث تفضل خدمته على عبادة الله دون عذر سوى النهم، ولعل العلماء هم أكثر الناس حرصاً على الحذر في هذا الجانب «فالعلماء ورثة الأنبياء» «والأنبياء ما ورّثوا درهماً ولا ديناراً».

هذه الصور لا أطرحها مفتياً ولقد طرحت موضوعات عديدة لا علاقة لها مباشرة بموضوع الشيخ صالح عن الأناشيد، ولكن الاستطراد ومحاولة تغطية الجوانب المباشرة وغير المباشرة ومحاولة تكبير الصورة والتعرف على زواياها دعتني جميعها إلى الإتيان بما أوردت راجياً ممن يملك وممن لديه الأهلية أن يفند ويوضح ويتوسع ليغطي كل مواطن البحث والنقاش والمساءلة. ولكيلا تبقى الأسئلة داخل الرأس حائرة

توجد الشرود وتجر إلى المتاهات.

وأعود إلى الشيخ صالح وإلى موضوع الأناشيد راجياً منه ومن غيره الاّ نُترك كقراء دون بحث وشرح يتسم بالسعة والدقة والتفصيل والتحديد لكي يتحقق لنا مع التقدم الأمامي السمو والعمق وبُعد الإدراك والنظر، وشمولية الرؤية وتجاوز مدى أرْنبة الأنف في التخطيط لمستقبلنا ومستقبل تمسك أبنائنا وبناتنا بالصراط المستقيم. واقترح مناقشة هذا الإستنتاج فيما يتعلق بمسألة الأناشيد وعلاقتها كآداب إسلامية بالقرآن الكريم والسنة المطهرة وعلومهما وآدابهما، وهذا المستنتج خطة ومنهجاً هو:

١ ــ أن يُصرف معظم الوقت للقرآن الحكيم والسنة الهادية.

٢ ــ أن يكون للمحاضرات والدعوات والمواعظ النافعة مكانها ودورها الخاص بها على أن يلاحظ خلوها من الشوائب، وتقيدها بالكتاب والسنة، وإن يكون فيها اختصاص وعلاقة بالواقع وتخوّل وتصنيف للمهمات والأولويات.

٣ ــ أن تقوم الأناشيد بخدمة الفكر الإسلامي والتربية كالمحاضرات والمواعظ على أن تكون فواصل لا بدائل.

٤ ــ الإيضاح بأن الأناشيد الإسلامية ليست مشروعة

كالعبادات أو في العبادات، وإن كان المحتسب بنافعها يؤمل له الأجر، على ألا تلهيه عما هو أهم، وهذه معلومة بسيطة لن تخفى على أحد لكن يمكن تأكيدها حتى في مناهج التعليم الأولى.

٥ ــ يلاحظ خلوها ــ أي الأناشيد ــ من معارضة تعاليم الإسلام، ومن ارتكاب منهياته.

٦ ــ يبين الفرق بينها وبين **أناشيد الصوفية أو الأناشيد الوطنية والقومية، أو الأغنيات الماجنة والهابطة.** مثلما فرق ﷺ بين أول هذا البيت وآخره في مسألة الحق والباطل:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

٧ ــ إذا اعترض على بيت فليكن الاعتراض على ذلك البيت فقط فيحذف، وإذا اعترض على نشيد بأكمله فليس من الإنصاف الاعتراض على كل الأناشيد «ولا تزر وازرة وزر أخرى» وإنما يجرى الفصل بين الغث والسمين.

والخشية في الأناشيد من مماثلة الصوفية والنصارى مثل أو يكاد أن يكون مثل الخشية من احتشام البنات الصغيرات لكيلا يشبهن الراهبات بينما هن بلا حشمة قد يشبهن غير الراهبات،

والأناشيد النقية لنا وليست للصوفية أو النصارى، والاحتشام لنا وليس للراهبات.

هذا واني أشكر وأقدر للشيخ صالح ــ بعد شكر الله العظيم ــ أن أتاح لي طلب المزيد من علمه ورأيه السديد، ولن يغيب عن ذهن القاريء وفطنته ما خرجت عن الموضوع للحديث حوله، وهو لا صلة له مباشرة بما كتبه الشيخ صالح الفوزان، وما على القاريء إذا التبس عليه الأمر ــ جدلاً ــ إلاّ أن يعود إلى تعقيب الشيخ صالح، وسيتبين له ما يتعلق بما كتبه وما لا علاقة مباشرة به، لكيلا ننسب إلى الشيخ صالح الفوزان ما لم يقله لمجرد عدم توفيقي إلى دقة التعبير والتحديد ــ إن حصل ــ أو لأني حاولت شمولية تغطية الجوانب إلى حدٍّ ما ولو لم تكن مطروقة من قبله. والله أعلم وأحكم.

اللهم أرنا الحق حقاً وأرزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وأرزقنا اجتنابه، وصلى الله وسلم على رسول الله ونبيه وعبده رائدنا وقائدنا وإمامنا وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

وعلى العموم:

فالتحريم يحتاج إلى أدلة وإثبات، والشعائر والعبادات تحتاج أيضاً إلى الأدلة والاثبات، أما ما عدا العبادات فمن يوجب أو يحرِّم هو المطالب بالأدلة والاثباتات لامن يبيح، وإذا اعتمد على الاستنتاجات فهو مجتهد معرض للخطأ والصواب. وذلك وفقاً لقاعدة أن الأصل في العبادات الحرمة وفي غيرها الإباحة، إلاّ ما أورد فيه الشرع تعليمات وتوجيهات بوجوب أو ندب أو حرمة أو كراهية.

لذا فالأناشيد التربوية النقية المتمشية في مضمونها واجوائها مع تعاليم الإسلام حتى نسبت إليه للدعوة إليه لا لكونها مشرّعة فيه هذه الأناشيد لا يطالب مؤيد وجودها وتطويرها وتهذيبها وتثقيفها بأدلة شرعية سواء كانت صحيحة، أو بعضها صحيح وبعضها ضعيف، أو أدلة كلها ضعيفة يقوى بعضها بعضاً، وخاصة إذا لم يعارضها ما يصل إلى قدرة إبطالها، كأن يكون الاعتراض معتمداً على الاجتهاد الاستنتاجي أو مسألة سد الذريعة الذي قد يمتد إلى حد بعيد وربما بلغ الغلو أو مظانه.

من يرى حرمة أو كراهية أو يرى وجوباً أو سنية هو الذي يسوق الأدلة ويطالب بدقة التوثيق، أما من لا يرى الوجوب ولا الحرمة ولا الندب ولا الكراهية، وإنما ينظر للأمر على أنه ضرب من الترويح والعادة غير المستحوذة أو المباحات إذا تقيدت بشروطها، فدليله الكافي عدم وجود أدلة مانعة محرمة من الكتاب والسنة، ودليله إباحة ماعدا العبادات مالم ينص على كراهيته أو تحريمه، لذلك لا يقال له: هاتِ دليلك. وقد يسوق ما يرد في كتب التاريخ، ومع ذلك فالأدلة ولو تفاوتت درجات صحتها تسوق ذاتها لتضيف نوراً على نور.

قطوف من حروف

● «وما يروونه عن النبي ﷺ: لما قدم إلى المدينة خرجن بنات النجار بالدفوف وهن يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

إلى آخر الشعر، فقال لهن رسول الله ﷺ: «**هزوا غرابيلكم بارك الله فيكم**» حديث النسوة وضرب الدف في الأفراح صحيح؛ فقد كان على عهد رسول الله ﷺ، وأما قوله: «هزوا غرابيلكم» هذا لا يعرف عنه». ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ ١٨ /١٢٤.

وبما له صلة بالموضوع يمكن الرجوع إلى «فتح الباري» ٢ /٤٤٠.

● «فلما دنا رسول الله ﷺ من المدينة[1] خرج الناس لتلقيه، وخرج النساء والصبيان والولائِد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

---

(١) [قادماً من تبوك].

وجب الشكـــر علينـــا ما دعـــا لله داعـــي

وبعض الرواة يَهِمُ في هذا ويقول: إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة، وهو وهم ظاهر، لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام، لايراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام، فلما أشرف على المدينة، قال: «هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه» متفق عليه من حديث أنس».

ابن قيم الجوزيه، في زاد المعاد ٣ /٥٥١ نشر /مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية.

• وعن بناء المسجد: «... ثم بنوه باللبن وجعل رسول الله ﷺ يبني معهم، وينقل اللبن والحجارة بنفسه ويقول:

اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة.

وكان يقول:

هذا الحمال لا حِمال خيبر هذا أبـرر بنـا وأطهـــر[1]

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١ /٢٣٩، وأخرجه بنحوه البخاري ٧ /١٩٢، ١٩٣ في المناقب: باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وأخرجه ١ /٤٣٨، ٤٣٩ و٧ /٢٠٧، ومسلم (٥٢٤) من حديث أنس بن مالك. [نقلاً من زاد المعاد ٣ /٦٢].

وجعلوا يرتجزون، وهم ينقلون اللبن، ويقول بعضهم في رجزه:

لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضلل

ابن قيم الجوزيه في زاد الميعاد ٣ /٦٢.

● عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بُعَاثَ قالت وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ وذلك في يوم عيد فقال رسول الله ﷺ: ياأبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا». متن البخاري بحاشية السندي ١ /١٧٠ باب في العيدين والتجمل فيه.

وفي ص ١٦٩ عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعَاثَ فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ فأقبل عليه رسول الله عليه السلام فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان بالدَّرَقِ والحراب فإمّا سألت النبي ﷺ وإمّا قال تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول: دونكم يابني أرفِده، حتى إذا مللت قال حسبكِ قلت نعم قال فاذهبي» البخاري.

● «(قوله وعندي جاريتان الخ) لم يرد به الاستدلال على أن

اللعب والغناء من سنن العيد إذ مثل اللعب لا يوصف بالسنيه بل غايته ان يوصف بالإباحة، بل أراد به الاستدلال على أن إظهار السرور والتوسعة على العيال بما يحصل لهم به بسط النفس وترويح البدن من كلف العبادة، والإعراض عنهم عند اشتغالهم باللعب ونحوه من السنن فإنه الذي فعله صلى الله تعالى عليه وسلم بدلالة هذا الحديث لا اللعب والغناء والله تعالى أعلم».

السندي عن حاشية السندي على متن البخاري ١ /١٧٠.

● وقد وردت روايات في صحيح مسلم بما ورد أعلاه من أحاديث وذلك في جـ ٣ ص ٢١ ــ ٢٢، وقد تختلف بعض الألفاظ في الأحاديث مثل ما يلي في صحيح مسلم:

١ ــ «... وقالت [أي عائشة] رضي الله عنها رأيت رسول الله صلى الله عليه يسترني بردائه وأنا انظر إلى الحبشة وهم يلعبون وأنا جارية فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن».

٢ ــ «قالت عائشة والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترني بردائه لكي انظر إلى لعبهم ثم

يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي انصرف فاقدِرُوا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو».

٣ ــ «... وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان وتضربان ورسول الله ﷺ مسجّى بثوبه...».

٤ ــ «... عن عائشة قالت: جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي ﷺ فوضعت رأسي على منكبه فجعلت انظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم»

وفي رواية أخرى عن راويين لم يذكرا في المسجد.

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ بحرابهم إذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها فقال رسول الله ﷺ: «**دعهم ياعمر**». **صحيح مسلم ٣ /٢٣.**

● ٢٦٦ «الهوا والعبوا فإني أكره أن يكون في دينكم غلظة» رواه البيهقي.

٢٦٧ «روحوا قلوبكم ساعة فساعة» رواه أبو داؤد.

٢٦٨ «.. ان الله يحبِ أن تقبل رخصه كما يحب العبد

مغفرة ربه» رواه الطبراني. الأحاديث الثلاثة عن كتاب: منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين لعز الدين بليق ص ١٩٦.

وللعب والترويح حدود وقيود لا تصل إلى حد فقدان المحدود ولا إلى تجاوزه الحد، ومن ذلك أن يكون اللهو مباحاً، فلا لهو بمحرم، وإن جاء الترويح بمفيد فذلك خير ونور، وألا يكون الترويح شاغلاً مستغرقاً الوقت مميتاً للقلب، وأن يتجنب فيما يصحبه مواطن السوء، أي أن يكون خيراً، أو على الأقل لا يكون ضاراً مخالفاً للشرع الحكيم وسنة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

قد يأتي من يقف موقف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهما من أفضل امة محمد بعد محمد ﷺ أو هما الأفضل، لكن الموقف السليم هو موقف رسول الله ﷺ وموقفهما بعد إرشاد رسول الله ﷺ لهما بالإمتناع، إمتناع الأول عن النهر، والثاني عن الحصب، والمهم أن يدرك أهل الضياع والمجون والفسق والفساد أن هذه الأدلة لا تصلح لهم.

الأهم فالمهم

الأهم فالمهم:

قرأت في العدد ٧٦٠ من مجلة المجتمع الرائدة الصادرة في ١٥ /٧/ ١٤٠٦ ص ٣٨ مقالة للدكتور الحبيب /محمد علي البار، يوضح فيها رأيه وموقفه من الكرة والمولد، وفهمت منه أنه يدعو إلى الإنصراف عن المعركتين إلى معارك الجهاد الحق، وما دعا إليه إيجاباً لا غبار عليه، والالتفاف حوله ــ ولو فكرياً في المبتدأ ــ لا يختلف فيه إثنان إذا محضا التزامهما الإسلامي النصح، وطابق الصواب، وأصاب المرمى.

وبادىء ذي بدء، أود أن أبين أني احترم الدكتور البار الذي له من اسمه نصيب حسب معنى الكلمة العربي فهو إن شاء الله بارّ في خدمة دينه وأمته، وله من اسمه نصيب حسب معناه الانقليزي، ولكنه نصيب معاكس فهو حرب طيبة كريمة على الخمور والخمارة والمخدرات، وأحس بأخوته الإسلامية في قرارة نفسي، وسويداء قلبي، وأحس بأنه مفكر إسلامي مخلص بعيد عن الخزعبلات. وقد أردت بهذه المقدمة أن يستبعد القاريء

كل شك يوحي به قولي إذا لم يكن ناعماً كحديث سفير مع رئيس دولة عند تقديم أوراق الاعتماد. فالمصارحة والمباشرة في الحوار لا تعني من قبلي إلاّ الإحساس بالأخوة ورفع الكلفة والتكلف، والإطمئنان على دخيلة النظير ورد الفعل لديه.

وأعتقد أن الرأي الذي أورده الأخ د /محمد البار يحتاج إلى إيضاح وتقسيم وتفصيل، لكيلا يوقع القاريء في معاني قد لا يريدها، وخاصة بعد ما يحاور ويناقش ويستجلى مُراده.

ولا بد للمسلمين من المفاهمة فالتخوف من الحوار فوّت الكثير.

ولابد من إيضاح مواطن الإتفاق معه.

فاستنكاره لعلاقة الشباب والمجتمع العربي والإسلامي بالكرة إستنكار في محله، لأن الكرة ليست رياضة، وليست تسلية، وإنما صارت وسيلة مهاترات وتشنجات، ومثار خلافات، ووسيلة تفكك لا ترابط، وعامل تكريس للاقليميات وتصغير الجماعات، ثم بالتالي صارت ملهاة فهي لم تعد أسبوعية تقام في إجازة آخر الأسبوع. والروح الرياضية صارت من أسماء أو صفات الأضداد فالكذب والخشونة والشتائم والمراوغة والغش

والرشوة ــ إن أمكن ــ صارت من صفات التعامل الكروي، وقلما تجد مناخاً طاهراً نقياً في أوساط الكرة العالمية إلاّ في المجتمعات الإسلامية المستقيمة المغالبة، بل تكاد أن تكون في معظم أنحاء العالم موطن إنتشار المخدرات والمسكرات إلاّ من رحمه الله وحماه، وقوى إيمانه، وشد من أزره، وثبت مبادئه. وما أقل ما ذكر، وهي نقطة المركز لمكان كثير من قرناء السوء في المعمورة إلاّ أن موطن السوء يمكن تحويله ليكون موطن الخير، كما يحصل عندما تحسن النيات والأعمال.

● والاتفاق معه وارد بل مؤكد على أن مفكري العالم الإسلامي وعلماءه ــ في الغالب ــ لم يضعوا ما يشبه جدول الأولويات، فيعطوا مثلاً الجهاد إيجاباً، والربا سلباً ما يتطلبانه، ويكون أكثر من الإهتمام بأمور تأتي في درجة متأخرة، ويمكن أن تقاس أمور أخرى على هذا النحو، وما أحوج المسلمين إلى أفكار مفكريهم وعلمائهم في طرح البدائل، وقد أقول أقوالاً لم يقلها لكنها لا تخرج في نظري عن مفهوم تنظيره.

وعندما استنكر معارك المولد ليته قصر استنكاره على مؤيدي المولد لكنه شمل ولم يفصِّل، واشترك الحابل مع النابل، خُلِطا بدون قصد مدان.

ووضع معارك الكرة والمولد في صورة واحدة تجمع المؤيد والمعارض، فصار كمن يشبه غروب الشمس بشروقها ملاحظاً صفات التشابه، ولم يلاحظ أن صفات التباعد أكثر فالشمس المشرقة مقدم شروق وعمل، والشمس الغاربة مقدم ظلام وسبات.

ولعله بكونه علمياً يتعامل مع المحسوسات أكثر قد غاب عن باله جزئياً أن المخدرات الفكرية أخطر وأنكى من المخدرات الحسية ــ مع سوء الإثنتين ــ والمولد وما جرّ إليه من بدع أوجرّ معه وحوله من كثير من الأفكار المخدرة المنسوبة للإسلام كالتصوف المعطل للجهاد والعمل، والداعي إلى الاستسلام، والخارج عن نهج الرسول ﷺ ومساره، والقبورية والاستغاثة بغير المغيث سبحانه إنما تنشأ تلك البدع عندما يسيطر التخلف والظلام والإنحدار على مواطن وعقول أمة الإسلام، ولذا يقال في هذه الأيام إن ما لا يقل عن ثلاثمائة مدرسة صوفية خرافية مشعوذة مدروشة نشأت بعد هزائم المسلمين العقائدية والعسكرية والسياسية والنفسية والخلقية، وكلها تطبِّل لأفكار أبرزها الإنشغال بإقامة الموالد التي تحاول الإيحاء بأن من يفعلها يكون قد عثر على جادة الإسلام، وأنه يسير على سنة محمد ﷺ، وإنه بما يفعل يكفِّر عن ذنوبه، فلا

يشعر بذنب قد يحفِّز، ولا بوخز ضمير قد يعى ويؤنب، وبذلك شجع أعداء الإسلام هذا المنهج لاستمرار الغفوة، وتأثير المخدِّر والمُشغِل، ونسى أصحاب الموالد أن محمداً ﷺ يريد من يجاهد لا من يقيم الموالد، ويظن أنه خدم الإسلام بهذه المفترات والمخدرات المعنوية، وإذا استطاع أعداء الإسلام وأشياعهم مع السذج أن يحرفوا الاسلام عن صحيح مساره ومبادئه ونهجه وأهدافه، فهل من يعارك في سبيل معارضة ذلك يكون قد دخل معركة لا لزوم لها!! إن ما ليس عليه محمد وأصحابه من أمور الدين وتوجيهاته لا يمكن أن يؤدي إلى خدمة الإسلام وأمته ومقدساته وحاضره ومستقبله.

إن المطلوب محاربة المخدرات العقاقيرية والمخدرات الدنيوية كالكرة في مسارها الخاطيء، والفن في كلماته الرخيصة والجانحة، والمخدرات الفكرية التي تحاول وضع صورة للإسلام مغايرة لحقيقته لكي يوجد الابتعاد عنه تحت وهم التمسك به كمن يمسك بقبضة قوية على مقود الحصان، ولكن الحصان ليس في مِقْودِه!! وبذلك يتم دفن جوهر الإسلام وإبقاء القشور مجوفة لتوهم بوجود لب، وهذا أعظم نصر لأعداء الإسلام إذا تحقق، وأعظم واجب لأبناء الإسلام أمامه هو كشفه وتصحيح المسار، وإلقاء القشور وإظهار الجواهر، وصرف

الجهود التي تبذل في الموالد وغيرها إلى المسارات التي وجهت إليها والتي تحتاج المسلم وجهده. وفرق في الموقف بين دعاة الموالد وتشويه الدين وإخراجه عن أسباب النصر والفوز، وبين دعاة إنكار الموالد والإنحراف بالدين عن مسار محمد ﷺ الذي قضى حياته مجاهداً ورائداً وقائداً ومرشداً وإماماً، وعاملاً متعاوناً، واجتماعياً مربياً فعالاً وإيجابياً.

إن دعاة إنكار الموالد والخرافات والمفاسد هم دعاة ما يريده الدكتور /محمد البار، هم دعاة التمسك الصحيح بما كان عليه محمد ﷺ الذي لا يصلح آخر هذه الأمة إلاّ به وهو الذي أصلح أولها.

وإن من مشكلات الثقافة العربية الآن الاكتفاء بالانطباع العام، وقراءة العناوين فقط، واستنتاج المضمون من العنوان وبعض من هم أفضل قليلاً قد يتصفحون الكتاب: وما قرأ من تصفح، وقلة قليلة من تدرس بعمق قبل أن تصدر الحكم الذي يعدّ من قاضي حسابه ليس يسيراً إذا لم يحترز ويتحرّ الصواب مقلباً الأمر على مختلف وجوهه مستعرضاً سلبياته وإيجابياته، وما هو ضار فيه أو نافع، وما هو ضار أو نافع بسببه وتأثيره وما يخلفه للأجيال اللاحقة، إن المفكر مطالب بأن يقرأ متفكراً في تأثير

ما يقرأه على نفسه، وفي نفس الوقت، بل وقبل ذلك هو مطالب بأن يقرأ ويفكر في تأثير ما يقرأه على الأبناء، على الجيل الصاعد، والنشء الصغير ثم بعد أن يقرأ يحكم، لا أن يحكم قبل أن يقرأ ما كتب كله. وإني لأمل أن يقصر الدكتور البار استنكاره على مؤيدي ما يخرج عن تعاليم الإسلام وهم لم يؤدوا واجبهم تجاه الأساسيات في الإسلام، وأن يُخرج من دائرة استنكاره من لم ولن يثيروا الموضوع لو لم يروا أمر الموالد والأضرحة يستفحل ويحرف ويضل ويجعل للإسلام صورة غير صورته التي نعتمد على الله سبحانه في أن تعود إلينا كما هي متكاملة، وبذلك نلتقي معه على استنكاره، ونتفق معه على تعريفات ووصف كل المعارك المشار إليها، وله وللجميع التحية الإسلامية، والمحبة في الله.

دلالات تلخيصية واستنتاجية:

● لو قرأ أحد الانطباعيين عنوان مقالة الأخ البار ثم قال: إن هناك ما هو أهم في شئون وشجون المسلمين، ألا يدل ذلك على تعجُّل من القاريء وحكم صادق في ذاته، خاطيء في استنتاجه، لأنه حكم على مقالة وخالفها، وهي إنما أرادت أن تقول ما قاله هو، لكنه لم يقرأ، واكتفى بالإنطباع، وهذا خطأ التعميم، والأحكام التوقعية.

● الأهم أولى ويجب ألاّ يُهمل، وإن كانت العقبات كثيرة أمامه، حائلة دون بلوغه مراده، وهي تنتشر وتنتشر في كل ثغر، ومن ذلك محطة تحرير الصحف والمجلات حيث منها ما لا ينشر سوى ما يقتنع به المسئول فيها لا ما يقتنع به الكاتب، ومسألة الإيمان بالرأي الآخر تتوقف وتتجمد لدى من يصبح صاحب الرأي الأول، ثم يصبح مؤيداً للرأي الآخر إذا تغيرت الأمور، وصار الرأي الأول ليس له!

والإهتمام بالأهم لا يعني إهمال المهم، ثم إن ترتيب الأولويات يختلف باختلاف المناظير والزوايا والأحوال

والمناخات، ويكفي وجود الصدق والإخلاص، والبعد التام عن المراوغة والمخاتلة والمغالطة والخداع، وما أعظم سعة الأفق.

وقد يكون المهم ممهداً للأهم، وإن أعمار الأمم أطول من أعمار الأفراد.

● أحياناً يكون الاختلاف توسيعاً ورحمة لطرق مختلف السبل وتغطية كل جوانب احتياجات البناء والصلاح والإصلاح.

● سبق أن كتبت مقالة عنوانها:

«هل وهل ثم هل حول نعل»[1]، ولو تيسر للقاريء أن يقرأها ويقرأ الشعر الذي علقت عليه لأدرك جيداً أهمية الايضاح الذي يخشى أن يتجه مفهوم الإسلام إلى الإخراج عن سبيله، فيتحقق للأعداء السرور من زوال ما يخافون منه عنه، وإذا كان السكوت من فضة هنا فالحديث من ذهب، وليس من نحاس.

● كتبت كتاباً لولا أن موضوعه يغزو الإسلام في عقر دياره غزواً فكرياً وعملياً لما كتبته «والحاجة أم العطاء» وليست أم الأختراع فقط، ولاحظت كما علمتني الأحداث والأيام أن من اعترض عليه بعدم الأهمية لم يقرأ مضمونه الذي يتوافق مع

(١) موجودة في هذا الكتاب.

اعتراض المعترض ويدعو إلى دعوته، ولكن سطحية التصفح جعلت الأحكام تصدر في غير مواضعها، والكتاب وإن بدا موضوعه واحداً إلا أنه في حقيقة الأمر يناقش عدداً من الموضوعات الأخرى ذات الصلة بقضايا المجتمع، وملخص ما قلته في كتاب «العقلية الإسلامية وفكرة المولد» وهو تلخيص تلخيص قد يخل، هو:

١ ــ أن من الغزو الفكري اشغال الناس عن الأساسيات التي تخطط للبناء بأمور تبدو إذا لم تدرس وكأنها مخلصة، ولكن تجارب التاريخ وفقهه تؤكدان لنا أن مثل هذه الأفكار لا تستشرى وتنتشر وتستشرس وتكون خطرة على الدهماء والمجتمع بحرفهما وجرفهما عن السبيل القويم المستقيم إلاّ عندما يصبح المسلمون في عصور انحطاط وهزيمة وظلام وتخلف. ويراد من بث هذه السبل والأفكار واحيائها إطالة أمد الظلمة والإنكسار، بل أكثر من هذا هجران المنابع الأولى، والإيهام بالبقاء عليها بينما الحقيقة تقول إن درجة الاختلاف قد تصل أحياناً إلى ١٨٠°، ولو رفضت الإدعاءات واعترضت المزاعم أليست بعض المخالفات والخرافات والمخدرات تجد مناخها في هذه المناسبات المنسوبة إلى ما يتبرأ منها.؟!

٢ ــ أن سلامة المجتمع تكمن في الاتباع لا الابتداع، وان الابتداع المرفوض إنما هو الحاصل في أمور الدين والعبادات، أما في أمور الدنيا فالابداع والابتداع الحسن، والابتكار أول دعاتها الإسلام.. «الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أولى الناس بها» ينقّب عنها في نفسه، ويبحث عنها ويلاحقها ويتابعها في أصقاع المعمورة.

أما السطحيون الذين يرون في الإسلام منسوباً إلى الملتزمين به بعض مخالفة للابداع لأن الكلمة شبيهة بالابتداع والبدعة، ومخالفة للحداثة ربما لأنها تقرب من كلمة محدث ــ بضم الميم وتسكين الحاء وكسر الدال ــ **وان التزام المسلم المؤمن بالعقاب والثواب قيود، وقيودهم هم التزامات** فيكفي أولئك كشفاً وموقفاً عدم ذكرهم لمصادر تقوُّلهم، والإسلام مع الحداثة الأصيلة لا الدخيلة المفسدة، ومع الابداع، ومع الحرية غير المستغلة الفوضوية لقد نسى المتقولون ان الله سبحانه: بديع السماوات والأرض، وإن الحديث محبوب لأنه قول رسول الله ﷺ وليتهم لا ينظرون وينظِّرون للأمور بعين عوراء. ولذا فالدعوة واردة واضحة تدعو إلى ترك ما يسبب فرقة المسلمين واشغالهم وتحقيق مآرب المتكالبين عليهم، فلنقرأ ثم لنحكم.

٣ ــ الدعوة إلى ترك المستجدات اللاهية الملهية في صلب العقيدة والإنصراف إلى الفرائض الغائبه التي منها ما أشار إليه الأخ /البار للقيام بالواجب تجاهها على مبدأ «دعونا نمشي» بلا مشاغلة وفُرقة إن كنا صادقين.

● العقيدة أولاً، والتوحيد هو الأهم، والعمل لازم متمم بل مكمِّل، فإبليس يقول إنه يخاف الله رب العالمين، ويطلب من الخالق جل شأنه أن يُنظره إلى يوم يبعثون، ويقول في مخاطبته لله: فبعزتك، فهو يوحد الله ولا يشرك به، ولكن طغيانه وعصيانه وفساد عمله واتباع النواهي واجتناب الأوامر جعله أسوأ خلق الله، ومن رؤوس أصحاب الجحيم الخالدين.

الأولويـــات :

للتشريع الإسلامي مصادره التي يأتي في مقدمتها القرآن الحكيم ثم السنة النبوية المطهرة مفصِّلة ومكمِّلة، ونصوص القرآن عليها إجماع بصحتها، وما صح من الأحاديث قد لا يكون دائماً مجمعاً عليه من أهل الحديث.

لكن هذا يدعو للاحتراز من مظنة القول بما قالت به بعض الفرق التي تعتمد على القرآن المجيد فقط كمصدر وحيد للتشريع الإسلامي.

فالأحاديث المتواترة، والأحاديث الصحيحة والحسنة لها مكانتها مع القرآن والمراد هنا هو الإشارة إلى أن ترتيب الأولويات في أسس الإسلام وقواعده وتنظيم اهتماماته ودرجاتها يستلزم مع أهمية مراعاة النصوص لفظاً وكثرة وصحة رواية، أن يكون بين الأسس المعتبرة في ترتيب الموضوعات وتصنيف مراتب أهميتها، ومقارنة منازلها أن يلاحظ أن ما نصّ القرآن على ذكره لابد وأن يحظي بمعنى يُعلي درجته، ويرفع مستوى أهميته وأولوياته، وقد يتكرر النص في أكثر من موضع في القرآن

ولذا معناه أيضاً في حساب جدولة المنهيات والواجبات والمندوبات، وهذه أمثلة غير مؤكدة الحصر:

فمن المأمور به في القرآن: أركان الإسلام، والإيمان، والاحسان، والجهاد، وطاعة الوالدين والإيثار، والبر والصدقة، والأمانة والعدل والمحبة والتعاون والصدق، والعفة والنكاح، وقراءة القرآن، والوصايا والمواريث، نصوص متعددة وصريحة.

ومن المنهي عنه في القرآن: الشرك، والكفر، والهوى ـــ وما أكثر ما ورد فيه، وما أقل ما يعرف الإنسان أنه وقع فيه ـــ والنفاق والفسوق والعصيان، والربا واللواط والزنى وشهادة الزور والتجسس والغيبة والظلم وأكل مال اليتيم وأكل أموال الناس بالباطل، والغش والتطفيف (المعاملات) والكذب والخمر والقمار، وعقوق الوالدين، والكبر، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، والسحر والحسد والتباغض، والغدر، والغلظة، والمِنّه.

المفكر الإسلامي الرائد يحضِّر لموضوعاته بالموازنة بين اهتماماته فلا يسرف في جانب ويقصر في آخر قد يكون أهم في جدولة الأولويات والاحتياجات.

التوازن بين الجوع والشبع من اتزان العقل، وقد لا تأتي الزيادة بخير، لذا لابد من إمعان النظر، والله نور السماوات والأرض تشعّ القلوب وتضيء الأبصار بنور الإيمان به جل شأنه.

قطوف من حروف

قال الشاعر :

● «لا تحقرن من الأشياء أصغرها فمعظم النار من مستصغر الشرر»

● التنبيه إلى الإيجابيات لا يقل عنه أهمية التحذير من السلبيات، وخاصة عندما يتنامى مقصدها، لأن التحذير من السلبيات دعوة إلى تقمص الإيجابيات وتبنِّيها وصرف الجهود كلها لها ومن أجلها.

● قد يكون الرأي صادقاً، ولكنه غير صائب لأنه ما جاء في موضعه ووقته، أو أريد به ما قيل عنه «كلمة حق أريد بها باطل» وهذا مما يظهر أحياناً في التعبير عن محبة رسول الله ﷺ بالعمل من أجله لا معه باتباعه، وفي ذلك خطورة وتدليس لأنه يوهم بأداء الواجب، ولو جاء البديل عنه التقصير فلربما عجّل بالشعور بالذنب، وأحياء الضمير والرغبة في التكفير.

● «كفى بك داء أن ترى الموت شافيا» وكفى بنا داء أن نقول: صدق موسى ديان: «إن العرب لا يقرأون». والله أعلم.

• المخ يتحكم ويحكم تصرفات الإنسان لكن للشرج تأثيراً على المخ يفسد تعقّله أحياناً.

• آفاق أدب المسواك، وأنفاق أدب «البايب» بينهما أكثر مما بين الثريّا والثرىٰ.

الجوهر والهامشيات

الجوهر والهامشيات:

عادة يكون النمو من القليل إلى الكثير، ومن الضعف إلى القوة، ومما دون الحسن إلى الحسن إلى الأحسن، ومن التوريق إلى الزهر إلى الثمر. وهكذا الأديب على الأغلب. لكن من الأدباء من تتمنى أن تكون بداياته هي نهاياته ــ أمد الله في عمره على طاعته ــ وأن تكون نهاياته أي عطاؤه المتأخر هو البداية، إذ سيكون معذوراً وذنبه ــ بإذن الله ــ مغفوراً مادام عمله هذا بداية طمرها وتجاوزها إلى نهاية فكر طيبة تذكِّر بكتاباته الأولى المحمودة كقصة «الابن العاق» ذات الهدف البناء المنشورة منذ ما يزيد على نصف قرن.

أديبنا الكبير هذا صار مولعاً في أيامه الأخيرة ــ أطال الله عمره على الخير ــ بشيء اسمه ومصبه ومنبعه «الانقليزي» يكاد لسان حاله أن يقول لنا إن من لا يعرف اللغة الانقليزية ولا يقرأ بها فليس أديباً أو ليس مثقفاً، ويساعده على الاستطراد في هذا التصور التقمص الحسي لمسألة التغريب هذه، فـ «البايب» من لزوميات «الشياكة ــ الأدبية و«المودة» الثقافية الشكلية المترفه،

التي تفهم التأديب على أنه التنظير، وأعلى درجاته الترجمة أو هي من أعلى درجاته، مع قراءة ما يكتب باللغة الانقليزية ليكون القاريء مثقفاً راقياً رفيع المستوى عالي الدرجات. وهو يعطي أحكاماً قطعية جازمة فشوقى كالمتنبي ليس شاعراً، والشعر الأصيل سيموت بعد عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً![1].

وقد تستغرب ـــ من الغرابة لا من التغريب ـــ إذا قرأت له ما معناه أنه اطلع على كتاب فلان العربي المكتوب باللغة العربية، وأنه من عادته إذا سافر إلى لندن أو أوروبا الاّ يأخذ معه إلا كتباً انقليزية أو يقرأها هناك. ولكنه هذه المرة وجد كتاباً باللغة العربية يستحق أن يأخذه مع الكتب الانقليزية ويبقى في مصافها، ولا أدري هل سيضعه في الترتيب قبل آخرها أم لا لكنه التحق بها على أي حال، كما التحق «المحفوظ» بجائزة بيقن التي استمرت في القيام بدور «الديناميت» المعنوي، وبذا يكون «نوبل» مخترع «الديناميت» الحسي والمعنوي على السواء.

وأديبنا الكبير مغرم بوليم سومرست موم ومن على شاكلته. ولو ترجم له وناقش واعترض ووجه من خلال الترجمة لعُذِر، وهو مولع بالاستشهاد بالأسماء اللامعة الغربية، ويراها من لزوميات ما

---

(١) جريدة الندوة العدد ٨٨٨٣ في ٢٢ رمضان ١٤٠٨.

يلزم في الأدب والانتماء إليه، كما يدل على ذلك لسان حاله المستوحي من السنة مقاله، ويرى أن ذلك مسلك الطبقة الراقية من الأدباء كما يدل على ذلك الإيحاء، وعندما يكتب عن المخدرات (انظر صحيفة الرياض العدد ٧٣١٢) يذكر أنه وجد كتاب «أليشاهافتر» في لندن **وعكف** على قراءة بعض فصوله في «برايتن»، ولا تنديد بل تأييد على اختيار الكتابة عن المخدرات بذكر المساويء مع عدم ذكر ما يُتوهم أنها محاسن، وإنما زينها الشيطان، وسردها قد يعلق في ذهن ضعاف العقول والنفوس والإرادة فيتخيلون فيها لو بعض عوض وهي بئس القرين والخدين. ولو ترجم كتباً علمية تقنية مفيدة لقال القراء نعم مافعل، ولو تحدث عن كتب الغرب بلغة التفنيد لقيل هذا جدول من جداول الاصلاح والتفطين، ولو اقتصرت الترجمة والحديث عن الأدب والأدباء الأوروبيين على كونها روافداً لا أنهاراً، وكونها وسائلاً ضمن وسائل تثقيف أخرى أكثر منها، ولها جودتها الفائقة، ولو لم تأت آداب الغرب المترجمة والمحكى عنها بكثرة ــ يساعد عليها دخان «البايب» ــ لو لم تأت وهي أشبه بالأهداف والمقاصد، والدرجات العالية، وبلوغ الشأو، ونموذجاً لأجود المقاييس لكان العذر سابقاً للعذل، ولكان النهج أجدى.

لكن من الناس من يتجهون لكل جديد ولو هزل، وذلك لكيلا يطمرهم الزمن وتنساهم الأوراق والأسماع والأذهان. لذا منهم من يركب الموجات بصرف النظر عن التفكر فيها وفي اتجاهاتها وهذا ديدن من مرامهم ذواتهم، وغاياتهم أشخاصهم، وليسوا ممن تكون مبادؤهم هي الأساس والمقصد، أي أن المباديء تكون مطايا للذاتية والأثرة إلاّ من رحم الله وسار على هذا النهج عن حسن قصد وخطأ عفوي، فصار ذنبه مهوّنا بحسن نيته، وعدم علمه بما يقترفه.

من أمثال صاحبنا من كتب عنه الأخ الكريم عوض بن محمد القرني في كتابه «الحداثة في ميزان الإسلام» ص ٧٣ ما يلي: «وتأتي صحيفة اليوم في العدد ٤٧٧٦ في ١٦ /١١ /١٤٠٦ بمحاضرة القيت في إحدى مدن المملكة، لمز المحاضر في أكثر من موضع سنة المصطفى ﷺ الثابتة بالأحاديث الصحيحة، وحشرها مع غيرها باعتبارها من أسباب تخلفنا فكان مما قال: «..... ينسلخ عن الجوهر بما فيه من المثل والقيم والمباديء ليغرق في هامشيات، وأقول يغرق؛ لأنه للأسف مازال غريقاً حتى اليوم، يغرق في ماذا؟! في تحريم أو استكراه **لبس الجلباب وتقصيره** إلى ما فوق الكعبين، وضرورة الأكل باليمين، وكراهية استعمال الملعقة والشوكة والسكين،

واستحباب لعق الأصابع، وكراهية الشرب واقفين، وكراهية أو تحريم الأكل على منضدة، وهذه اضافة إلى مسائل أخرى منها، الاحتفال بمولد النبي والتوسل بالأولياء الصالحين، وهكذا يحشر المحاضر العظيم، وتنشر الصحيفة الحداثية هذه التشكيلة العجيبة التي حوت من التناقضات مما لا يستطيع أن يجمع بينها إلا من حمل راية العداء للإسلام، أو الجهل به، أو جمع بين الأمرين، وإلا فمتى حارب الإسلام الأكل بالشوكة والملعقة أو على المنضدة.

ومتى أصبحت سنة النبي ﷺ هامشية، يتهم من ينادى بها بالغرق في الهامشية، سواءً كانت الأكل باليمين أو تقصير لباس الرجل فوق الكعبين أو لعق الأصابع أو كراهية الشرب واقفاً لغير حاجة.

ومتى أصبح الحديث عن بعض قضايا العقيدة، كالمولد والتوسل بالأنبياء والصالحين من الهامشيات».

ثم يقول المؤلف فيما بعد:

«وهكذا مادام المحاضر قد نصب نفسه حكماً يبين ما هو الصالح وما هو الهامشي في الإسلام، فالواجب على العلماء ألا

يجرحوا مشاعره، ويرفعوا أصواتهم ضد ما يحبذه ويحبه، وليطوع الإسلام رهن مراده وإشارته وإن تعجب أيها القاريء مما تقدم، فليزدد عجبك حين تعلم أنه في المحاضرة نفسها طالب أن تدرس جامعاتنا أفكار رانجيسكوا، وبولتن، وبسيو ــ وكارل ماركس، وسارتر، واكسن، وقال إنه لا ضير من ذلك، بل يجب كما قال: أن تفتح النوافذ ونتنفس الهواء الطلق»....

سنة محمد ﷺ عندهم هامشيات، وأفكار ملاحدة الغرب هواء طلق» ص ٧٥.

قد يقول قائل: إن الترجمة فتح نوافذ على ثقافات العالم فكيف نعترض عليها، فيقال له: لا تكن ياأخي من الذين يحملون المعنى فوق ما يحمل ليقوضوا بناءه بدعوى خراب في أساساته لم يكن حقيقة فيه.

فالترجمة لكتب العلم والتقنية مطلوبة وبكثرة.

والترجمة التي تكافح غزو اللغة الأجنبية وما مع ذلك من آثار وبيلة تترتب على ذلك الغزو مطلوبة أيضاً، والترجمة مع النقد للتحذير مفيدة أحياناً، وترجمة الكتب المفيدة والموجهة الأدبية والتربوية نافعة أيضاً، لكن الحدود المطلوب وقوف اللغة الأجنبية

والترجمة وإثارة الأعجاب بها وبروادها عندها هي التي يجب أن تراعىٰ جيداً وباتقان لكيلا تخدم الترجمة ما تُرجم لا من تُرجم لهم.

وإن تشمل الترجمة من وإلى مختلف اللغات ذات التملك لما يستحق الترجمة، ومن يدعو لتصحيح واقع الإنغماس في أدب الغرب والشنشنة والطنطنة له، والانجراف واللهاث وراءه، وتكثيف تثقيف النشء به إلى حد يتجاوز الامتلاء، لا يجوز أن يتهم بمحاربة «الانفتاح» وهو يدعو لانفتاح كافي لا يصل إلى حد كونه شقاً واسعاً يصعب على الراقع رقعه حالاً أو مآلا.

ومثل هذا من قد يتهم دعاة الأصالة برفض التجديد، وما سمعت أو قرأت لمن أو عن من يدعو لذلك منهم فهم مع التحديث والتجديد والابتكار، لكن بشرط إلاّ يكون القائد الرائد تابعاً تبعية إمعية، وألا يكون الجديد خالي الوفاض من الابداع وجودة الابتكار، والفن، والموهبة والملكة النابغة والقدرة والمهارة.

هذا الرأي المعتدل يصعب تقويضه لذا يتهم صاحبه بأنه كلية ضد التحديث وما هو بذلك، ولكن افتراض وجود خطأ يُصوَّب تسبب في هذا التقول الذي صار عليه المعول في التخطيء لدى غير المتأنين المتأملين الملتزمين.

صاحبنا الأديب الكبير لا يعترض على كتابات تهويمية لا أساس ولا رأس لها، تائهة ضائعة، غامضة تعيد للذاكرة مبدأ «الفن للفن وليس الفن للحياة» إلا أن الإعادة نسبية فما بين أيدينا ليس حتى فناً للفن، لأنه بالأصح إنعدام الفن لإنعدام الفن، ولكن كاتبنا يعترض على من يكتب بوضوح وبساطة وسهولة عن قضايا أمته ومجتمعه وأصالته وانتمائه فيستنكر ذلك كاتبنا الكبير متهماً بالغرق في الهامشيات وبالانسلاخ عن الجوهر، ترى هل فكر كثيراً في مسألة الإنسلاخ عن الجوهر بما فيه من المثل والقيم والمبادىء، أم أن أدب «البايب» حجب المعنى الغائب؟!

لو اهتم برنامج صحي طبي بتقصير الثوب لما يحمله الثوب الطويل من قذارة دورات المياه وغيرها والميكروبات والرطوبة المليئة بالجراثيم، هل سيقول هذه هامشيات؟

ولو اهتم بالأكل باليمين وباليد لأن ذلك أنظف وأكثر احترازاً هل سيقول صاحبنا هذه هامشيات، وهل لو جاءت من رأس أحد الأسماء الغربية فهل ستكون هامشيات أم هواء طلقاً؟!

إن «الضعيف يقلد القوي» والتقليد للآخرين في التقاليد بلا سبب قوي التبرير يعني معاونة الظواهر والمحسوسات للتقليد

في البواطن والمعنويات على الأغلب، إن فقدان الشخصية المستقلة في المظاهر والمخابر معاً ليست آثاره هامشية، وإن بدت بداياته كذلك.

والاحتفال بالمولد النبوي والتوسل بالأولياء والصالحين ــ رحمهم الله ــ وتغذية هذا المنحى وكأنه أساس أو من أسس الدين حرف للإسلام عن مساره يغار عليه كثيراً أناس بيِّن توجههم، ويغار منه أناس آخرون معروف توجههم. وبين هؤلاء وأولئك عامّةٌ حسنة النية والطوية بحاجة كرعية إلى رعاة هداة مرشدين إلى أن تقوم الساعة، ومنهم العلماء والقادة والمصلحون كالمدرسين والإعلاميين والأدباء والخطباء.

● الاهتمام بقضايا المجتمع أمر أساسي للأديب الملتزم، للأديب الحق الذي أدبه الله فأدب نفسه ثم عمل بقدر طاقته على تأديب من حوله في أسرته ومجتمعه.

أعد النظر ياأديبنا الكبير فنحن معك نؤمن بالمحاجة والحوار لأن الله سبحانه قال «وجادلهم» مع ذكر لصفة وكيفية المجادلة، ومادمنا جميعاً نحمل غايات حسنة القصد إن أخطأت أو أصابت وليس وراءها أغراض مستترة لا تنشد الحق والحقيقة.

وإن سلمنا من الهوى ــ حمانا الله وإياك منه ــ فإننا سندعو من لا يعبأ بنا لولا دعاؤنا فنقول:

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقاك، واجعل عملنا خالصاً لوجهك الكريم فإننا نرجو لقاء ربنا العليم الحكيم الحليم. الذي هدانا النجدين.

ويالله حسن الخاتمة

• **سبحان من عوّد الأطيار عادتها وعلم الناس إنكاراً إذا جهلوا**

انعكاسات مصوّرة

انعكاسات مقوسة

• قرأت لأديب معروف وكاتب لامع مقالات سبع في صحيفة الرياض أول هذا العام ١٤٠٩هـ أو آخر سابقه وضع فيها الشباب بين قوسين، ومما يختلف معه القراء أو بعضهم إن لم يكن جلهم، تصوره أن المتطرفين أشد من الفاسقين والمارقين أو ما معناه، كما فهمت، ولربما يكون معه حق لو ضرب لنا أمثلة مؤكدة. ومما دعاني لإ يراد هذه المحاجة المختصرة مع أقواله هو أني لم استطع تحديد مفهومه للتطرف لأن الأمثلة وتعددها ضرورية لعمق الفهم. فالتطرف يتطلب ضرب أمثلة عليه، كما أنه يستلزم تحديد موقف ذلك المتطرف، وتحديد موقف متهمه بالتطرف، إذ قد يحصل ــ ولا أقول إن ذلك حاصل فعلاً ــ قد يحصل أن يقف مطلق الحكم على طرف أو قريب منه فيُرى من حكم عليه بأنه يقف بعيداً عنه فيظنه متطرفاً، بينما هو في حقيقة الأمر يقف في مركز الوسط بل قد يكون أقرب ــ ولو عن بعد ــ إلى الطرف الذي أطلق منه الحكم بالتطرف لا إلى

الطرف المضاد ــ لذا لابد من ضرب الأمثلة لتتقارب المفاهيم، ويعالج الحوار شيئاً واحداً متفقاً عليه، أي أن التشخيص الدقيق والتحليلات تسبق الآراء والمعالجة.

أذكر قصة جدلية غير مؤدبة لا علاقة لنا ولا لصاحبنا كاتبنا الكريم المجتهد بها. ولكنها تأتي هنا لوجه شبه واحد تساؤلي هو: من أي موقف يجري تحديد التطرف؟.

القصة تقول: نعلم أن المسلمين ذكراً وانثى لباسهم محتشم ولباس المرأة بالذات فيه تحجب تام عن الرجال غير المحارم واحتشام عن أكثر المحارم. ومن المسلمين من له رأي في كشف وجه المرأة ويديها أمام الرجل إذا أبعدت مظان الفتنة كالزينة والتكسر والتعطر وإظهار المفاتن بضيق اللباس أو شفافيته أو قصره، وما إلى ذلك. وهذا الرأي إن كان مرجوحاً فالمؤكد أن ما دونه من لباس عليه اتفاق في الإنكار من جميع الآراء المسلمة الملتزمة.

لكن في بلاد المسلمين من «استغربوا» و«غرّبوا» كثيراً، فصاروا على الشواطيء يلبسون «المايوهات» وكانت للنساء نوعين فصارت «تطوراً» وما أكثر جناية هذه الكلمة! صارت ثلاثة أنواع فيما بعد، وهي:

١ ــ «المايوه» القطعة الواحدة التي تعري الجسم كله ما عدا النهدين والفرج وما بينهما.

٢ ــ «المايوه» قطعتان، إحدى القطع تستر النهدين فقط، والأخرى تستر الفرج وما يحيط به فقط. اشبه بورقة التوت أو هي أصغر من ورقة التوت، والبطن عاري.

٣ ــ «المايوه» الجديد، قطعة واحدة لكنها تسْتر الفرج فقط، وتبقى بقية جسم المرأة عارياً بما في ذلك النهدان والبطن والظهر والأفخاذ والسيقان!

إن الثانية تقول عن الأولى «انها رجعية متخلفة وحياة.....»!

والثالثة تقول عن الثانية نفس القول، وتقول عن الأولى انها جداً متخلفة ومتطرفة ومتشددة وربما وصفتها بنسبة لأحد المذاهب يوصف بها في الأوساط الأمية الشخص المتمسك الملتزم بتعاليم الإسلام وشرعه الحكيم. هذا الانحطاط الخلقي والفكري، والسفالة والضياع والتدهور والدونية قد لا يحس بها الواقع فيها، وقد يحرص على المغالطة أو صرف الذهن دائماً عن إكتشاف الحقيقة، وقد تزين له باسم التحضر والتقدمية والمدنية.

أما المسلمات الملتزمات حقاً فيرين ان الثلاث متطرفات في المروق والبعد عن السلوك الإسلامي الذي يجب أن يحكم مجتمع المسلمين الذين يرون أنهم متمسكون بنهج القرآن وشريعة محمد ﷺ وهذا حكم لا غبار عليه، فيه الرفعة والرقي والاستقلال والنقاء والطهارة.

الحَكَمُ إذاً في مسألة التطرف والمرونة، والوسطية والتهاون هو ما عليه محمد ﷺ وأصحابه وزوجاته وبناته.

لنتصور أن رسول الله ﷺ بيننا الآن، ولنتساءل ما الذي سيرضيه من أقوالنا وأفعالنا، وما الذي لن يرضيه، وهل سيوجد في عالمنا العربي وغير العربي من سيجرؤ على اتهامه بالتطرف؟!

نحن وكاتبنا الكريم لسنا مع رأي نساء الشاطيء جميعهن، ولسنا مع من قد يجرؤ على إتهام رأي لرسول الله ﷺ فيه التوجيه والإرشاد والهدى بالتطرف والبعد عن المرونة، لأنه أحكم إنسان، ولا يأتي إلاّ بأسلم بيان وبنيان.

ولكن الدعوة إلى ضرب الأمثلة دعت للاستطراد، ثم تعرض الأمثلة على مفاهيم الشرع الحكيم وتعاليمه، وهو الحكم المرضي القاطع.

من يتصور أنه آخذ بمبدأ المرونة، قد تودي به تلك المرونة المزعومة إلى التهاون وإلى التطرف في التهاون عندما يزداد معيار الآخذ بذلك في الإيحاء له باعتداليته ووسطيته.

ومن يتصور أنه آخذ بمبدأ الحزم والتمسك قد يجتاز به ذلك إلى الغلو ــ وهو لا يدري ــ والغلو تطرف منبوذ لا يحقق من المحاسن أكثر مما يحقق من المساوىء.

وإذا لم يوجد إتهام فلا بأس من مطلق التنظير، لكن مع الاتهام لابد ــ كما أسلفت ــ من التمثيل، ويحسن التعدد فيه، وليتيقن من يضرب الأمثلة أن **احتمال** عدم صحة ودقة أمثلته أو عدم واقعيتها وارد، فلا يأخذ الأمر مأخذ الجزم والتسليم بما يقول، وإلاّ وقع فيما نهى عنه و«لاتنه عن خلق وتأتي مثله» أي يكون قد وقع في التطرف والتشدد والتعصب للرأي، ومن يراجع ص ٨٢ من كتاب: إلى من يقرأ، سيجد أقوالاً منتقاة متعلقة بهذا الشأن لا داعي لتكرار ذكرها.

● كتابات داخل الأقواس وكتابات خارج الأقواس، وما المضمون؟ وإلى أين؟ ورغم ذلك فبينهما جامع بدون أقواس.

«المثقفون والبحث عن مسار»

«المثقفون والبحث عن مسار»:

«دور المثقفين في أقطار الخليج العربي في التنمية»

كتاب للدكتور أسامة عبدالرحمن
مركز دراسات الوحدة العربية ــ بيروت ١٩٨٧م.

● «ولأن مفهوم التنمية غلب عليه الطابع الاقتصادي فقد بدت مهمة التقصي والبحث والدراسة والتنظير وكأنها وقف على الفئة المثقفة من الاقتصاديين أو من هم قريبون من مجال الاقتصاد.

وهذه النظرة قاصرة ومبتورة بعد أن تبين أن التنمية لها أبعاد شتى وأن البعد الثقافي لا يقل شأناً عن بقية الأبعاد، ولعله من المستنكر أن ينظر إلى الثقافة على أنها الأدب وما دار في محيطه وان الثقافة بهذا المعنى القاصر ليس لها دور مباشر وفعال في التنمية، وأن المثقفين ضمن هذا الإطار ينتظر منهم

أن يكونوا بمعزل عن التنمية **وأن عطاءهم الإبداعي هو غاية في حد ذاته وليس من الضروري أن تكون محصلته ذات دور في التوعية المجتمعية أو التنمية الشاملة»** ص ٢١.

د /أسامة عبد الرحمن «المثقفون والبحث عن مسار».

هذا الرأي للدكتور أسامة له أمثال كثيرة في كونها مما نلتقي عليه كقراء فتتطابق الآراء مع رأيه تطابق عقارب الساعة حيناً من كل ساعة، ولعل سبب ذلك في كثير من الآراء المتلاقية هو مصداقيتها وانبثاقها من التجرد والحقيقة، وقد تختلف آراء معه بدرجات الزوايا الحادة والقائمة والمنفرجة من رأي لآخر، لكنها أيضاً قد تختلف معه بمقدار ١٨٠° أي مقدار الزاوية المستقيمة في الآراء التي ينبجس منها الماء ويتمنى القاريء لو صار زلالاً، لكنها الآراء التي قد تنبثق عن فكر عروبي وشعوبي إقليمي بمقاييس القارات، وعنصري تعصبي لا يلتقي مع الانسان في انسانيته وفكره وروحه إلاّ في ادعاءات لاحقة ساترة، وتوفيقية واهية التبرير تابعة لا متبوعة، وإنما أول أسس لقائه ومركزها هو لغته، أو موقعه المكاني، ورقعته الجغرافية، أو عرقه ودمه مما لا يعني في قاموس القيم شيئاً، ومن يدري فلربما دخل اللون، وهذا خلاف الفكر الإسلامي الذي لا يتعلق بأي نوع

من أنواع التقوقع والتعصب والعرقية من أمثال السامية والحامية واليافثية أو الصهيونية أو الأصل الآري أو غيرها، وإنما يجعل القيمة للسمو الإنساني الأخلاقي، ونقاء المعتقد، وحسن التعامل يتساوى في ذلك كل من يفعل من مشارق الأرض إلى مغاربها وهم سواء سأسنان المشط، وسوء تطبيق البشر لا يضر رفعة وسماوية المعتقد والمبدأ والنظرية المأمور بتطبيقها واعتمادها، وعثرات فرعية في التطبيق لا تُحمل على المبدأ دائماً.

ومع أنه لا يتوقع أن يكون ابن المدينة النبوية من العروبيين الذين يرون العروبة جامعاً لا يدخل فيه الدين، وأنه ربما يكون من العروبيين الذين يلبسون العروبة عباءة الإسلام أو يُلبسون الإسلام عباءة العروبة، بل وأكثر من هذا قد لا يرى أرومة عروبة بدون عروق إسلامية تجري فيها دماء حياة زكية، لكن كل هذا إنما هو توقع وتفاؤل وحسن ظن في محله ــ إن شاء الله ــ لأن من طبيعة كتابات الدكتور أسامة هنا ذات الصلة بالدين أو بعضها أن تضع القاريء بين مسارين، ويترك للقاريء التفسير على ما يريد وحسب انطباعه عن الكاتب، فصارت على طريقة «ليت عينيه سواء» ولربما لا يكون عنى ذلك، ولكن الكاتب يحتفظ لنفسه بخط رجعة فيما لو أدان القاريء قوله فكرياً وانتماء

حسب مفهوم القاريء من المقروء، ولعله إنما يراعى خواطر العروبيين الذين يختصون بمفهوم آخر للعروبة ولا يود أن يفقدهم، ليس رياء وتذبذباً وإنما ربما «تكتيكا» تربوياً مسلكياً ليؤثر فيهم من خلال تصور موافقتهم والإنسجام معهم وتقبلهم نفسياً لفتح نوافذ آذانهم لسماع ما يقول، وفي هذا تهيئة للرجوع بهم أو ببعضهم عن أسباب الهزائم في نصف القرن الماضي إلى مسار المنفذ الوحيد، أو أنه ــ إن لم يصح الاحتمال السابق ــ يخفي علينا كقراء ما لم يظهر لنا مما يجعلنا لا نتمكن تماماً من تحديد الهوية فلا ندرك نبيل مقاصده التي نحسبها في حسباننا دوافعه، ولكن ذلك يفقد ما ينشره الكثير الكثير من قوة التأثير، ولعله آخذ بمعنى آخر الفقرة ٢ ــ ١ من العنوان الجانبي: «المباديء الموجهة للخطة» في الملحق رقم ٣ من كتابه، وعنوان الملحق «مشروع خطة التنمية الثقافية في دول مجلس التعاون» فقد ورد في تلك الفقرة ص ٢٣٧ ما يلي: «الثقافة العربية الإسلامية هي إطار التخطيط الثقافي لدول المجلس **مع مراعاة الواقع الاجتماعي** والاقتصادي والثقافي وخصوصية التخطيط المطلوب **لملاءمة** هذا الواقع».

والمراعاة يبدو أنها عامة عروبيي العالم العربي، ولكن هذا القول مجرد استنتاج واستقراء لدلائل وقرائن. وصاحب الشأن

هو الذي يملك الإثبات اليقيني الحق أو النفى القاطع، انه هو الحاسم في إثبات المثبت، ونفى بقية الاحتمالات حتى المستبعد منها من قبل من طرحها.

ولقد أورد الكاتب الكريم الدكتور /أسامة في ص ٢٣٧ الفقرة رقم ١ ــ ٣ من العنوان الجانبي «أهداف الخطة» ونص الفقرة هو:

«التشبع بالهوية الحضارية العربية الإسلامية بوصف الثقافة مستودع الأصالة والكنز الواسع من الخبرات اللازمة».

وهذا رأي مشروع خطة التنمية الثقافية في دول مجلس التعاون. لكن... لنر ما كتبه الدكتور أسامة حول الدين في كتابه سالف الذكر، لقد كتب في ص ١٢٨ منه ما عنوانه: «بروز التيارات الدينية مع رسوخ النزعات القبلية» وفيه يقول:

«ومثل هذه التيارات الدينية تستخدم عادة الدين وسيلة لمصالحها وتكون مراكز قوى على الساحة المجتمعية ولها دور في التأثير على قطاع غير يسير من المجتمع، ومن الملفت للنظر أن انتشارها بين نسبة من الشباب واستغلال النزعة الدينية لمصالح معينة تتمثل في تكوين مراكز قوى على الساحة المجتمعية هي ظاهرة جديدة إلى حد ما في أقطار الخليج

العربي، وإن كانت غير جديدة في بعض أقطار الوطن العربي الأخرى».

ويلاحظ قوله «تستخدم الدين وسيلة لمصالحها» أي أنها لا تخدم الدين وإنما تستخدمه فهي في هذه الحالة تقع تحت طائلة الاتهام بالكفر أو النفاق وربما الشرك الخفي لأنها عبدت مصالحها مستخدمة الدين، والتيارات الدينية يبدو أنها شعبية وليست حكومية بدليل أنه يقول «هي ظاهرة جديدة إلى حد ما في أقطار الخليج العربية».

والتيارات الدينية الحكومية في الخليج قديمة عريقة فإذاً هي قد سلمت من التهمة، وانصبت التهمة على التيارات الشعبية من غير تبعيض ولعله يقصد تلك التي فجعت بأن قوميتها المزينة جمعتها مع من لم يصدقوها إلا في محاربة الدولة الإسلامية العثمانية، فلما جاء الاستعمار الغربي والشيوعي تخلو عن العروبة إلاّ كشكل مناهض للاسلام رابطة وحزاماً، وفي هذا قال قائل منهم وهو أحدُ القادة: اننا جزء من العالم العربي ''Part'' ولكننا في نفس الوقت جزء منفصل عنه أيضاً ''apart''

لاننا ننتمي روحيا ونندمج وننسجم مع الغرب[1]؛ ولم يكن ليجرؤ على قول ما قال لو لم يكن كقائد رائد لقومه ممثلاً في ذلك لقاعدته التي اختارته.

ويُرجى الرجوع إلى الصفحات الثلاثين الأولى من كتاب «يقظة العرب» لجورج انطونيوس، على أن الاستثناء وارد، وعلى أن قلة المستثنين ــ إذا صدقت ــ عليها ألاّ تطلب التضحية من الكثرة بمبادئها ونبراس حياتها ومكون كيانها، وإنما تقوم القلة بالتضحية والإعذار واحترام مختلف المباديء والمواقف، وعدم خلخلة صفوف وترابط أمتها القومية.

وعبارة الدكتور أسامة: «واستغلال النزعة الدينية لمضالح معينة» تحمل معنى التنفير والتشكيك والسلبية في النظرة، ولو حلت الإيجابية لورد التبعيض والتحذير والتوجيه، أمّا إن قال الدكتور اني أصف ولا أعظ فلربما نقول له: انك قد وعظت في مواطن أخرى، ولذلك مدلوله، وإن لم تعظ فما أقل من أن تفند لكيلا يختلط الحابل بالنابل، وتعم التهم البريء والمسيء، لعلك تقول مثلاً انها تيارات تواجه أو تنافس تيارات أخرى في البلاد

(١) مجلة التايم الأمريكية العدد ٥٢ في ٢٨/ ١٢/ ١٩٨٧.

العربية أو العالم الثالث، فضلاً عن الدول الخليجية التي وصفت تياراتها بالجدة.

إن من المحتمل أن تكون بعض هذه التيارات هي التي فجعت في بعض أو معظم قياداتها الفكرية والتنظيرية التي تسنمت مراكز ما كانت تعارضه، وتبين للناشئة أنهم ساروا وراء عروبة جسدية لها خوار، وليس لها روح ذات حياة وقرار، فردت لهم الروح، وإن لم تردّ إلى بعض منهم وخاصة بعض قياداتهم المنظرة التي فضلت الالتجاء إلى القلعة التي كانت تبادلهم التراشق والمحاربة، وإن كانت محاربتها لهم شكلية وهمية مدلّسة، لكيلا يكتشفوا هم ومن معهم السبيل الوحيد لتحقيق الغايات الصادقة المخلصة المنتصرة، وهي نصرة الله باتباع دينه، والصبر على الأذى، ولو رُمي الفاعل من قبل الأهل بتهمة استخدام الدين لمصالح معينة، وهي التهمة التي قد تنطبق على أناس منهم،لكن لابد ــ للموضوعية والعلمية والتحقيق ــ لابد من تحديدهم وتفنيد حقائقهم لكيلا يؤخذ المحسن بجريرة المسيء، ولكي يبدو القول متسماً بالغيرة عليهم وعلى ما اعتنقوه لا متسماً بالتحريض عليهم، وإساءة الظن بهم جميعهم. والتأليب حتى على المتوسطين المعتدلين منهم الذين يوازنون في المشية بين الافراط والتفريط، وهؤلاء لصدقهم ونزاهتهم

واعتدالهم وحكمتهم ورزانتهم، وبعدهم عن مظان الغدر والختل والخيانة والأنانية والعمل من أجل الذات هم الذين يكون محظوظاً جداً من يعتمد بعد الله عليهم في بناء حياة البلاد والعباد على أسس سليمة قويمة، شديدة العضد، طويلة الأمد. تبعد مظان حدوث بعض أشراط الساعة.

وإذا انتفى الإفراط في الركض واللهاث فلن يوجد الافراط إثره في الأعياء والإحباط، وفي كثير من الأمور أو كلها «لكل فعل رد فعل» والوسطية مبدأ قويم، لأنها اعتدال إذا لم تفسر من أي مصدر على نحوٍ خاطيء جارف.

ويقول الدكتور أسامة: «ومع بروز هذه التيارات الدينية ازدادت النزعات القبلية رسوخاً في جانب آخر، وكان من المفروض أن تذوب النزعات القبلية ذلك أنها...».

ما الذي يمنع القبلية من الرسوخ أو النمو مادام الذي ينهى عنها مؤمناً بقبلية أكبر اسمها القومية تقرب مبادؤها العصبية من مبادىء القبلية وإن لم تتطابق لاختلاف الحجم الذي عدّل في الأسس، لكن مبدأ التعصب لنوع هو الاساس، وليس الرابط لكل البشرية مما يحث على التقائها كالفكر والعقيدة التي تتساوى فيها كل الاختلافات الأخرى.

بعد أن بلغت القومية أوج مكانتها أو كادت، ثم هوت عاجزة عن أن تحقق شيئاً راسخاً لأنها جمعت كل نهاز فرص يجيد القول ونغمته، وليس له في الفعل نصيب، ولم تكن مبنية على أسس متجذرة عريقة ضاخّة للدماء في العروق كلما دعت الحاجة إلى الضخ، وكانت عالية الصوت في وقتها، إذ ذاك توجه الناس بعد الغفوه وإثر الصحوة للبحث عن البديل فمنهم من اتخذ المسار الديني وقد تبين أنه لا ملجأ من الله إلاّاليه، وأن الله إنما ينصر من ينصره، وقد تتعدد المفاهيم والأساليب، وقد تتطرف فتوجد في محيطها انقسامات يغذيها عدد تلك المفاهيم، وقد يوجد من يضع أصبعه على الزناد مطلقاً بلا هدف، ولا تحديد غاية، ولا تعيين اتجاه، ولا معرفة، والاختلاف مقبول وطبيعي وفطري إلى حد، لكن التجاوز هو الممقوت وهو المميت وهو المعيق ومع ذلك فالقافلة باذن الله ستصل لكن إن لم يكن وصولها مع الفجر فسيكون قبل الغروب، والاختلافات إذا عولجت بالمحاجة والابتعاد عن سهولة الاتهام بالمروق بمختلف الاصطلاحات الخاصة بمفهوم المروق عن جادة الإسلام فإن أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله، أهل القبلة سيكونون قوة لبعضهم تكوِّن ضعفا لعدو الله وعدوهم.

ومع مرور الزمن، ورفع أصابع الطيش والطفولة عن الزناد تتقارب المفاهيم والمعارف، أو تتداخل متضامنة منسجمة بعد أن يتبين لأكثر الناس ان معظم أو كل المشكلات التي يعاني منها المجتمع الإسلامي لا حل لها إلا بالإسلام ذاته إذا فتح كتابه وقرىء واتبع ولم يبق على الرف للزينة والغبار فقط، ومن تلك المشكلات مسائل العنصرية والقبلية والإقليمية والذاتية الأنانية والفردية الواهمة التي يقتلها الطمع والخيلاء والعُجب، والمشكلات الاقتصادية والمسلكية.

وقد قلت معظم أو كل لتعكس كلمة معظم موقف من لم يتشبع بعد بالفكر الإسلامي وحلوله بما فيه الكفاية ــ ولا غرابة فالإسلام كلما غاص الغواص في بحوره وجد فيه لآلي جديدة مفيدة ــ وبالمسار الإسلامي الرزين ــ إذا سلم من الجاحدين والجامدين ــ سيتكامل بناء المجتمع المنشود وتماسك الأمة الراقية الواعية.

فأما القبلية في ازدياد رسوخها فلا عجب فيه، لأنها ثمرة أو نواة للنزعة القومية غير الملتزمة بمباديء الإسلام تلك النزعة التي سيطرت ردحاً من الزمن، وهي ــ أي القبلية الكبرى: القومية ــ ثمرة لمحاربة الاتجاه الديني من قبل أعدائه، ومنهم

من بالهوية فقط هم ينتمون إليه، ولكنهم يعطلونه ويعرقلون مسيرته، ويعوقون نشاطاته وفعاليته ويصرفون أبناءه عنه.

فالقومية عربية أو غير عربية تعصب ضيق الأفق بالنسبة للإنسانية، موجد للمنازعات على وجه البسيطة مما يؤثر على المفهوم الإنساني للإنسان والإنسانية.

والإقليمية ــ بنت القومية ــ تعصب أضيق من تعصب القومية.

والقبلية ــ بنت البنت ــ هي التعصب الأضيق من الإقليمية.

ولا يذيب العداء في الثلاث إلا الإسلام المؤمن بالتقوى والإنسانية وحسن السلوك والمعاشرة أمتثالاً لأوامر الله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين. ففرقة المذاهب، وفرقة القبلية، والإقليمية، والقوميات لا علاج لها إلا بالمستحضرات الدوائية والوقائية والغذائية الإسلامية عقيدة وفكراً وسلوكاً، وهي مستحضرات نافعة، وليست لها مضاعفات ضارة إذا أحسن تناولها وفقاً للتعليمات لا الإدعاءات.

ولكن التيارات الدينية الجديدة ــ حسب وصف الدكتور أسامة لها ــ لم تتمكن لجدتها من تقليص أو إيقاف ازدياد رسوخ القبلية. ويمكن القول هنا في شكل سؤال وما فعلت القومية في عصرها الذهبي حيال إنهاء القبلية على المفهوم الخاطيء لها؟! وإذا كانت القبلية «تمثل تجزئة داخل القطر الواحد، وبعض هذه الأقطار صغير أصلاً» ص ١٢٩، وإذا كانت «تمثل خلخلة في أولوية الانتماء إلى قطر ناهيك عن الشعور بالإنتماء للوطن العربي» ص ١٢٩.

فإن القومية كهدف جامع أخير متوقف عن النمو ككيان يُتصور تكامله، تمثل بدورها تجزئة وخلخلة في الإنتماء للجامع الإسلامي بالتضامن أو الوحدة على نحوٍ أرسخ وأبلغ وأوثق وأرقى وأوسع أفقاً، ان القرآن نزل بلغة العرب **لعلهم يعقلون** وبلسان محمد ﷺ لعلهم يعقلون، ولكنه لم يخاطب العرب فلم يقل: ياأيها العرب، وإنما قال: ياأيها الناس، يامعشر الجن والانس، ياأيها الذين آمنوا، الخطاب للمؤمنين، نعم الخطاب للمؤمنين أو للبشرية، أما العروبة لذاتها فـ «ليس الأعاريب عند الله من أحد».

وإذا كان العرب لا يتقبلون الفكر والتوجيه إلاّ إذا جاء

بلغتهم، وقد لا يتقبله بعضهم إذا اشترك معهم فيه غيرهم، وذلك لتعصبهم وعنصريتهم، اعني بعضهم أي القوميين المغالين منهم، فإن غير العرب أو بعضهم يمكن أن يقبلوا الصواب ولو لم يأت بلغتهم، فالمهم عندهم التفكير لا لغة أو نوع التعبير ولا أظن هذا الأمر مسيء لغير العرب وليس في هذا المعنى إن صح ــ حسن طبع في العرب، فالحكمة ضالة المؤمنِ بأي لغة صيغت وهذا ما يجعل المسلم غير العربي يبدو خالياً تماماً من التعصب والتعنصر في التزامه بالإسلام، والمسلم العربي مثل غير العربي إذا كانت نيته كذلك، والعروبي الملتزم بالإسلام إذا كان قد اتخذ هذا المسار كطريقة و«تكتيك» للم شمل المسلمين ولم تكن عروبته أغلى عليه من إسلامه فهو أيضاً قمين بأن يكون ظاهراً طاهراً متطهراً من كل أدران العصبيات التي توجد الشحناء والاحن والنزاعات في العالم، وكل عصابة أو عصبة تستنكر ذلك في غيرها وتمجده ذاته في نفسها!! فعلام منها يدل ذلك عقلياً؟!.

وإني لاستغرب من الدكتور /أسامة قوله في ص ٢٢ «بعد انتهاء عصر الخلافة العثمانية **وجلاء المستعمر**» كيف يجعل حكم الخلافة الإسلامية حكماً استعمارياً كحكم الانقليز والفرنسيين والأمريكان والطليان والروس، إن حكم المسلم

للمسلم لا يكون استعماراً، قد يكون الحاكم المسلم عاصياً أو ظالماً مستبداً، أو فاجراً أو فاسداً إدارياً أو منافقاً ــ لا قدر الله ــ أو ما إلى ذلك، ويوصف الحكم بالصلاح إذا صلح، والفساد حسب حالته لكن حكم المسلم للمسلمين لا يسمى استعماراً مثلما أن حكم العربي في نظر العروبيين لا يكون استعماراً ولو كان حكم قطر عربي لقطر عربي آخر بل إن من العروبيين من لا يرى ذلك استعماراً ولو صار الحاكم ذاته غير مسلم وإنما هو عربي فقط!

ولكن الالتزام والانتماء يظهران للناس إيحاءات تحتاج إن أخطأت إلى تصويب ممن تسبب في وجودها وغموض ما يلغيها، ولقد رأينا ــ كقراء ــ من يكتبون لشجب الاستعمار الغربي، ولا يعتبرون القطر المستعمر من الشيوعية مستعمراً، والعكس قد يحصل فيكتب كاتب أو أكثر عن استعمار السوفيات لقطر غير معتبرين أن القطر المستعمر من الغرب مستعمراً فعلاً وذلك ما أوحى به إليهم انتماؤهم وميولهم، والإسلاميون لا يعتبرون الحكم العثماني استعماراً، ولربما ناقشوا مسألة صلاحه أو فساده واستبداده جزئياً أو كلياً لكن ليس على أساس مبدأ أنه حكم استعماري البتة.

وما سماه استعماراً سوى الارساليات التبشيرية الغربية والشرقية وبعض العرب غير المسلمين الذين من حقهم الديني حسب مفهومهم اعتبار الحكم الإسلامي العثماني حكماً استعمارياً أما الحكم، «الاستعمار» الفرنسي والانقليزي فليس استعماراً لهم للانتماء الروحي والامتزاج الديني ولا يعد في هذه الحالة الاستعمار عندهم بمعنى الاحتلال والاستغلال، وإنما المعمر والتعمير، ومن وسائل الإعلام ما يأخذ ولا يعيد النظر فيما يأخذ من مصطلحات مثل تسمية جهاد أطفال الحجارة في فلسطين بالإنتفاضة!!

ويقول الدكتور أسامة في ص ٢٣ «أنه في ظل الخلافة العثمانية ومظلة المستعمر وسيطرته واستبداده» الخ.

إن الاستبداد والسيطرة عند من يراها في الحكم العثماني ليست قاصرة على البلاد العربية، وإنما صبغة الحكم عامة إن استحسنت أو استهجنت، ولو سجن عربي غير مسلم لربما يقول انه سجن لأنه غير مسلم وقد يكون معه في السجن مئات أو آلاف المسلمين فهل سجنوا لأنهم مسلمين؟ قد يهرب العربي غير المسلم من علة سجنه ليجعلها ملبّسةً أمراً آخر.

والخلافة الإسلامية العثمانية إذا استبدت فليس ذلك لأنها مستعمر، لأنها قد تستبد في تركيا، ولكن لأن ذلك طابع حكمها الذي أوقعها سوء الحظ وسوء الاختيار فيه إن حصل، وذلك متروك للتاريخ ولمجال آخر واهتمامات أخرى، والتخلي عن مشورة الإسلام ونهجه يوقع في المهالك والسقوط.

الخلافة الإسلامية تخدم وتحترم اللغة العربية، ودول الاستعمار أول عدوٍّ لها هو اللغة العربية وآدابها.

ولكن الذي يتيهنا مع الدكتور أسامة ويحيرنا أننا كراكب بحر فيه المد والجزر، فمرة يدفع بنا حتى نكاد أن نشك فيه لولا أننا نعلم أن ابن المدينة النبوية بخير في دينه إن شاء الله ــ ولا يزكى على الله أحد ــ وليس بحاجة إلى شهادتنا، وقد لا نكون في موقع من هو أهل للشهادة بل قد نكون بحاجة إلى الشهادة لأنفسنا من غيرنا من باب عدم تزكية النفس، فعمر وهو عمر رضي الله عنه تمنى أن يكون لا له ولا عليه، فكيف من هم بعيدون عن صف عمر رضي الله عنه، ومرة يجذبنا الدكتور أسامة إلى محاولة إيقاظ تشعرنا بأن ما قطعناه معشر القراء المسلمين لا يساوي كثيراً أمام ما لم نقطعه من المسير الماثل أمامنا فها هو في ص ٦٧ تحت العنوان الجانبي: «الإنكفاء على التراث» يقول:

«والالتزام بالمضامين الحضارية ذات القيم الأصيلة يعتبر فرضا وليس نافلة».

إنه لقول رائع جداً يحسن أن نصدقه كقول بفعال، بخاصة أيضاً مع قول الدكتور أسامة في ص ٢١ مستنكراً أن يكون الإبداع غاية بدون دور تنموي.

«... وأن عطاءهم الإبداعي هو غاية في حد ذاته وليس من الضروري أن تكون محصلته ذات دور في التوعية المجتمعية أو التنمية الشاملة».

إن جعل العطاء الإبداعي غاية في حد ذاته أدى إلى غموض الغايات الموصل إلى المتاهات على خلاف غموض قد يمر ببعض كتابات كتاب هدفهم منه الرمزية، وظروف النشر الحساسة، وطبيعة أدب الكاتب وسلوكه، ومؤثرات العلاقات العامة.

وبما أن الدكتور ممن تحتسب كتاباته على الأغلب مما له دور في التوعية ماعدا كتاباته القليلة المستثناة عن الدين حيث يكتنفها أو بعضها بعض اللبس في مفهوم القاريء لها عن المراد منها بالدقة والتحديد، وبما أنه ممن شرح «البيروقراطية» ولا بد

أنه من أعداء ممارستها وأنه ليس من مبرري الأخذ بها وممارستها على نحو يناقض التنظير، لأنه يعلم بأن البيروقراطيين سيستعملون نفس سلاح المعتذر والمبرر، وأنه إذا وجد مرؤوسون قد تبرر «البيروقراطية» في التعامل معهم، فمعالجة واقعهم ليس بالبيروقراطية والمركزية وإنما بسبل أخرى مثل شدة الرقابة، وإعادة تصنيف المسئوليات، وإتخاذ العقوبات الرادعة، ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب وما إلى ذلك. كما أن الدكتور أسامة كعالم ومتواضع، والعلم والتواضع أخوان شقيقان توأمان، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، فإن فُقد التواضع فالعالم ليس عالماً وإنما هو خطيب أو كاتب أو صحفي أو متحدث هدفه ذاته لا مبادؤه، الدكتور أسامة وهو العالم المتواضع الملتزم بالإسلام المناهض للبيروقراطية الذي له قراء معجبون ومتأثرون، فهو كالأقرع بن حابس في وجه شبه هو أنه إذا تأثر تأثر بتأثره وتأثيره عديد من الناس من قرائه نتوقع منه أن يصحح ويوضح لنا مفهوم العروبة الآن ودور المسلم العربي في حياته اليومية الخاصة به والمتعلقة بأمته ومجتمعه على نحو شامس نهاري لا لبس فيه ولا حيرة، وبذلك يكون له في هذا المنحى أجر عمله ومن عمل بعمله إلى يوم القيامة، ولا تنشأ أو تتوسع القبلية أو يزداد رسوخها على النحو المنبوذ، لأن فكر الإسلام ومنهجه ولا شيء

سواه، هما اللذان يحاربان التعصب بكل أشكاله القومية والمذهبية المفرقه والطائفية والقطرية والقبلية، وما ضر بعض العرب العروبيين إلا تصورهم أن الإسلام ليس أفضل منهج وعقيدة دينية للمسلمين، وأفضل منهج وعقيدة وطنية للعرب غير المسلمين يحفظ حقوق الجميع، ويتيح لهم كل جوامع الخير ومَوانع الشر، ومن يلتزم بالإسلام يصرف حماسه له.

فليت دكتورنا يعزم على العمل على محاولة تحويل من يتجاوبون مع فكره من النشء ليحقق بذلك مقولته الإبداعية الرائعة: «والالتزام بالمضامين الحضارية ذات القيم الأصيلة يعتبر فرضاً وليس نافلة» ص ٦٧. واعتقد أنه يعني الالتزام بالإسلام مادام مسلماً يخاطب المسلمين أو الأكثرية الإسلامية في وطن أو أوطان إسلامية، وبلغة المسلمين.

ومادام أن إبداعه له «محصلة ذات دور في التوعية المجتمعية أو التنمية الشاملة» ص ٢١.

وأود هنا أن أخاطب من قد يسيء الظن فأؤكد اني لست أغمز أو المز كما يفعل بعض من يسميهم البعض شداة الصحافة الذين كادوا أن يعودونا مما نقرأ على هذا النمط،

فصار منا من لا يتصور وضوحاً في الحوار الاّ ويعني غمزاً ولمزا، ولولا الحذر لوقعنا فيما وقع في آخرون، لكن الدكتور أسامة قد يوافق مع شعر هذا القائل الذي لعل معانيه تخفى ما نقص من إبداعه:

إن السلوك خطيب كاتب حكم وشاعر بزّ من بالشعر قد خطبا
ما الشعر والنثر بالقول البليغ إذا جاء الحديث ادعاء ليس فيه نبا
ما الشعر والنثر الاّ غيمة عبرت فلم يَجُد غيثها حيث السلوك كبا

وهذا قول موجه لنا جميعاً، وليس لأحد دون أحد.

لعل الدكتور أسامة لاحظ أنه لم يستثن من القيادات الدينية ما تضطهده القوي «التقدمية» التي من أبرز شعاراتها «الحرية»، ولعله فيما بعد يشير إلى التيارات الدينية في القدس وأخواتها التي سلاحها الحجارة فقط مع فقدان النصير المشارك العملي من إخوة «الصالونات» المنظرة تلك التيارات المقدسية التي رفعت أصبعاً واحداً بدلاً من اثنين «علامة النصر» والأصبع الواحد كأصبع كريم عبدالجبار بطل كرة السلة العالمي تقول: لا إله إلا الله، كما أن تلك التيارات الجديدة هي التي صارت تقول: يايهود يايهود، دين محمد سيعود، ومع ذلك يقال

سموها انتفاضة ولا تقولوا جهاداً! لماذا؟ إن أمام المجيب على السؤال زمناً كافياً للإجابة عليه بعد تأمل.

هذه الملامح والمعالم يجب ألا تطمسها تعميمية شاملة حاجبه مثل قول الدكتور أسامة غير المستثنى «ومثل هذه التيارات الدينية تستخدم عادة الدين وسيلة لمصالحها وتكون مراكز قوى...» الخ تلاحظ كلمة عادة وليست كلمة غالباً أو أحياناً، ويلاحظ عدم وجود تبعيض يسبق كلمة التيارات لكي يفرز السمين عن الغث. ولعل هذا سبقة قلم، إلاّ إن شفعت كلمة «مثل».

إن دعوة الدكتور أسامة لأن تكون محصلة الإبداع ذات دور في التوعية المجتمعية تجيء في وقتها بعد أن كثرت محاولات صرف الابداع عن التأثير، ومحاولات تحطيم وسائل الإبداع، فالشعر يكتنفه الغموض، والقصة لا داعي لوضع خاتمتها وليترك للقاريء وضع نهايتها، واللغة العربية توجد دعوة للمحكي منها وذلك لعزل لغة القرآن الكريم لتكون كاللاتينية لغة الدين بجوار الانقليزية الحديثة، وهناك دعوات للهجات، وتشجيع «الأدب» الأمّي والغناء العامي، وهناك دعوة لتحويل الحرف إلى لاتيني، وهناك دعوات لشعر لاموزون ولا مؤثر ودعوة لشعر ميكانيكي،

وإشغال في الثقافة والأدب بحوارات سفسطائية شاغلة عما يجرى في كل الجهات الأصيلة والفرعية، ولا يرجى من تلك الحوارات نفع في الحال أو المآل، ومع ذلك فلسان المحافل حافل في البلاد العربية بتلك المضيعات كأمثال التشريحية و السيميائية أو السيميولوجية، والالسنية والبنيوية والنصوصية واصطلاحات كثيرة متعددة متداخلة شاغلة تعيد ــ كما أسلفت القول ــ مقولة «الفن للفن»، أو الفن للضياع ومع أن هذا الاستقراء للأحوال شمل من يقصدون ومن لا يقصدون، فإن منهم من يفعل لغفلة كغفلة الصالحين، جعلنا الله منهم في غير الغفلة، ومنهم من يتهم بالتواطؤ ويتربص الدوائر بأمة تكالب عليها الأعداء، مع إضاعة الشباب بوسائل إعلام خارجية غازية لصرف الأذهان والابتكار والابداع إلى ما لا نفع وراءه ولا طائل تحته. ومن تناقضات الأصوات أن من أبرز التهم الموجهة لديوان العرب، الشعر الأصيل صعوبته وكثرة قواعده وقيوده، ثم نجد من النصوصيين من في بيت شعر واحد فاق السكاكي والجرجاني بتحليلات شاغلة مشغلة عن المعاني، وضروب التغير فيها. واللوم هنا ينصب على من يلوم البلاغيين والشعر الأصيل ولا يلوم على التمحك في استقصاء نصوصي يفترض افتراضات جدلية لا حدود لها وتقل ثمرة نتاجها عن النضج وتحول قيثارة الشعر إلى آلة حاسبة.

إذاً لعل الدكتور أسامة بعد أن أعلمنا بالفرض وأنه ليس نافلة، ودعا إلى دور الإبداع في التوعية وهو المبدع ــ شعراً ونثراً، كما هو الداعي إلى الالتزام بالمضامين الحضارية ذات القيم الأصيلة لعله يكون أحد الدعاة فيرشد التيارات الدينية إلى الدرب الذي لا تستخدم فيه الدين وسيلة لمصالحها «كالعادة» كما قال من قبل، كما يسترشد بانبلاج موقفه من جفلوا من الأخذ بما فيه تحقيق أداء الفريضة التي ليس الموقف منها مما لا يتجاوز حدود التنفُّل. وبذلك يجد المثقفون المسار الذي اهتم عنوان الكتاب بالبحث عنه مع المثقفين.

ينتظر من صاحب الدواوين ذات العناوين المقتبسة من آي القرآن الشيء الكثير الذي إن لم يظهر ثمره في الدنيا فسيظهر باذن الله في الآخرة. والله المعين لمن به وحده يستعين.

● أدب القضايا، وأدب الحوار، تحتاجهما الساحة الأدبية والثقافية من أجل البناء.

فقضايا المجتمع تنتظر فكراً دارساً مدروساً يعالجها، والا بقيت مريضة أو فقدت الحياة.

وأدب الحوار المتدارس إذا استقام صار السبب المؤدي إلى

الوقوف عند حافة حوض الحقيقة ومعرفة الصواب، ليرتشف من أراد.

أما أدب الترف والتصنع والانشغال بالغزل إلى حد الاملال والاسفاف ــ وما أكثر الرخيص والفج منه، وما أكثر ما أضاع ابداع شعراء ــ فإنه يعْني ضعف الإنتماء، ووهن الالتزام، وإنعدام الاحساس بالآخرين والعضوية في المجتمع.

● تأنس النفس إذا قدمت للناس صوابا يستفيدون منه، ويعود عليها ــ قطعاً ــ بخير، ولا يقتصر أنسها على هذا، فإنها أيضاً تأنس إذا قدمت لهم ما يجعلهم يبدون الصواب، ويصلون إلى الحقيقة.

إن مجرد الإسهام في الدعوة إلى البحث عن الحقيقة يملأ النفس بالرضا والمتعة عندما توجد الضالة.. توجد الحكمة ولو لم يعثر عليها الداعي للبحث عنها بنفسه إذ يكفيه الشعور ولو بالمشاركة، وأنه أحد أسباب الوصول إلى الهدف.

ولكل المشاركين فيه دور في العثور على الحقيقة.

● الحوار المنشود غرض أدبي شبه مفقود... ينتظر الوجود.

مما قيل :

● «السياسة والأخلاق لا يمكن الفصل بينهما. ولما كان الدين هو أساس الأخلاقيات فإن الدين والسياسة مرتبطان بالضرورة»

رونالد ريغن ــ النيوزويك ــ مجلة الأمة ٦ /١٤٠٦.

● قد تُقلّم الأشجار لا لتُقلّص، وإنما ليكون نموها أسرع وأكثر وأفضل.

حوار مع الأفكار.. باختصار:

● «لا يعنينا القاريء الذي مثل الأعمى، يسألنا بعد كل خطوة عن المعنى والمغزى، هذا القاريء سنأخذه برفق، وفي صمت، إلى أقرب مأوى للعجزة... لمن نكتب؟ سؤال داعر، خبيث، جبان يدعو ضمناً إلى القبول والامتثال، إلى المهادنة والتملق، إلى كبح كل **خروج عن المألوف** سؤال لا يعنينا بأي شكل من الأشكال، ولا نحترم من يطرحه.

نعلن موت الكورس...» قاسم حداد وأمين صالح.

نقلاً عن مقالة في جريدة الرياض العدد ٧١٦١ في ١٢ /٦ /١٤٠٨

تناقش هذا الرأي.

● القول **المطروح** أعلاه لا تكفي فيه كفارة واحدة بل يحتاج إلى عدة كفّارات وهو يحث من حيث عارض على طرح التساؤلات المندهشة، ولو أدت بصاحبها إلى أخذ بالرفق وبصمت إلى أقرب مأوى للعجزة، ولربما استأنس بمصاحبة أولئك العجزة، لأنه يبدو أن اللوحة التي على دارتهم وضعت خطأ في غير موضعها فالمفروض أن تثبت على الباب من

الداخل ليقرأها الخارجون لا الداخلون، لأنهم حقيقة ليسوا العجزة، وإنما العجزة هم من عجزوا عن مد جسور فهم وإفهام وتفاهم مع السواد الأعظم، وضيعوه في كلمات متقاطعة تولد ميتة وتوحي سكينة موتها للوهلة الأولى بالنضارة، كما أوحت من قبل حشرجات الموت وعنفوانه بوجود حركة فاعلة ومؤثرة، ولكن الحقيقة تفجع بأن الزوبعة لم تكن في أكثر من «فنجان» وان الجوّ خلا أو أخلى لها ولو تنكرت كلماتها الرنانة بالانعتاق!

وإذا كانت الأقلية تسأل عن المعنى فالقاريء أعمى، لكن إذا كانت الأكثرية بمستوياتها تسأل عن المعنى، فالأعمى من سُلِّم مفاتيح قيادة سيارات وطيارات وبواخر العلم والأدب والثقافة ليقول للناس ما لا يُفهم مضيعاً الوقت والجهد والموضع، ثم يتهمهم بالعمى والصمم وهم ليسوا عمياً ولا صماً وإن كانوا خرساً بكماً، لأن «الميكروفونات» سلِّمت لمن يصفون السؤال بالدعارة والجبن والخبث، ومن يتهمون بالدعوة إلى القبول والأمتثال والمهادنة والتملق وكبح كل خروج على المألوف.

والخروج على المألوف ليس هدفاً في ذاته، فالخروج عند موجبه السامي حسن، أما الخروج بالانحدار فذلك هو العمى الذي يعتقد أنه لا بصيرة ولا بصر لأحد، والامتثال في الطيبات

خير من العصيان المخبول المتظاهر بأنه على حق وأن في داخل قبضته الملمومة أصابعها ــ قبل أن ينقلب السحر على الساحر ــ شيء فإذا تفرقت الأصابع تبين أن ليس في اليد شيء سوى الهباء، وبذلك يضيع وقت الباحث المؤمل، ويصاب بالخيبة والاحباط، ويحتاج لزمن آخر للنهوض من الكبوة.

أما عدم احترام من يطرح السؤال فتلك إهانة للجمهور، لقاعة الحضور، «والكورس» المعلن موته ما هو «بكورس» وإنما هو الحاضرون في الصالة، المشاهدون للمسرح، وإذا كان من على المسرح قد أجاد دوره، قد أجاد التمثيل، فإن الجمهور لم يقتنع بالرواية ولا خاتمتها ولا التمثيل المتكلف، ولكنه بطبعه لا يخرج قبل أن يشاهد، ولا يعني جلوسه في القاعة الرضا، ولكن يعني الصبر حتى يصل الأمر إلى مرحلة يتمكن فيها من اطلاق حكم مبني على أسس ومشاهدة فاحصة ومعاينة غير ارتجالية أو انفعالية، ومادام الجمهور وهو الحكم، حكم عليه بأنه ببغاء «كورسيه» كأصفار على الشمال، فلا لوم عليه إذا خرج قبل نهاية المسرحية تاركاً التمثيل للممثلين، ولو لم يسعده الحظ أو المخرِج بوجود مسرح آخر أو مسرحيات أخرى أفضل وأصدق وأقدر على مد جسور التفاهم والتواصل، أو أنه لم يهتد إليها بعد. ليت من أعلن موت الكورس أعلن موت المغنى أو

الممثل، أو أُعلن بدلاً منه عن ذلك لعلنا نرزق بعده بمنشد يأتي من بين الحاضرين يعرف ماذا يريدون، وماذا يأملون وبذلك تحيا الفنون، ولو مات الورق الصقيل، ومن لا يحترم، ووجبات «الجنبري» والسهرة الحلوة على أنغام الضياع.

قطوف من حروف:

محطات القطوف لا تعني تضمنها لما له علاقة بما قبلها أو بعدها، وإنما هي محطات استراحة ثقافية منوعة، تتضمن خلاصات حِكَمٍ التعريج عليها يعني الإحاطة بموضوعات مختصرة لعلها مفيدة. وهي خواطر تتوارد بدون استئذان أو مواعيد.

- قال تعالى: ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء**﴾ (الأنعام: ٤٤).

- ﴿فلما نسوا ما ذكروا به نجينا الذين ينهون عن السوء﴾ (الأعراف: ١٦٥).

- ﴿**ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا**﴾ (الفرقان: ١٨).

- ﴿**أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات**﴾ (المؤمنون: ٥٥).

● ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ (التوبة: ٥٥).

●﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ (آخر آل عمران).

●﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (آل عمران: ١٨٥، الحديد: ٢٠).

● عذراء اسمها المباديء تتمثل بقول الشاعر:

اني لا فتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا.

لا تتشاءمي يااختاه، فالتشاؤم في الاسلام ممقوت.

● إذا رأيت صاحب الهوى الذي اتخذ الهه هواه فليسقط من عينك ولا «تُسمِّ عليه» فإنه أحقر مما تصل إليه درجة احتقارك له، وهو أخطر من جاهل ــ على سوء الجهل ــ ولتكن في نظرتك إليه مترفعاً عن مستواه إلا إذا استأنست فيه حسن النية، وبعض غفلات الصالحين، ولمست إمكانية التفاهم معه وإيقاظه من سباته واضغاث أحلامه، ورجوت صحوته على هول المصيبة عندما ترك حكم الله، وانصرف إلى هوى النفس الغاوية، مثل هذا الذي يهتم بآخر قائمة المتبوعات ــ عن قصد لا عن جهل ــ وينهى عن آخر قائمة الممنوعات، لوْ صحا

على إعادة النظر في ترتيب الأولويات، وبدأ بالأهم فالمهم فما يليه لوجد أنه يعالج ذاته ومواقفه، ويعالج المستشرى قبل السهل، ولادرك أنه لا ينصرف إلى الأمور الصغيرة الصارفة عما يقدمها من أمور أخرى تنتظر العناية المركزة الاّ بسبب سوء التدبير أو سوء الهوى ومؤثراته.

الهوى، لو رجع المسلم إلى القرآن الحكيم بتدبر وتركيز وحصر اهتمام بما ورد عنه فيه، لوجد آيات عديدة، محذرة عنه، منفّرة من الانقياد له، منذرة من عقابيله الوخيمة على الفرد والجماعة دينا ودنيا.

وأكثر المنقادين لعبادة الهوى هم الجهلة والعصاة والكفرة والمنافقون.

لذا فالمسلم ــ كما يجرى مثل غيره تحليلات طبية ــ للتأكد من صحة البدن، هو مطالب بما هو أهم، وهو أن يجرى على نفسه كطبيب لذاته تحليلات واختبارات ليتأكد من أن سرطان الهوى لم يغز دماغه وقلبه وفكره وحركاته وسكناته.

فـ «الهوى يعمي ويصم» و«آفة الرأي الهوى» ولله كامل العلم. أعاننا الله على أنفسنا.

المنهج والمضمون

المنهج والمضمون:

إن للأسلوب والطريقة والمنهج وهي وسائل تكاد تتحد في المعنى، إن لها آثاراً بعيدة المدى على المضامين قوة أو ضعفاً، علماً بها أو جهلاً، فهماً صائباً لها أو فهماً نقيضاً معكوساً.

والمنهج أكثر من المضمون تأثراً بالتغيرات الاجتماعية والتحولات الثقافية لذا لابد للمنهج من أن يعيد النظر بين حين وآخر في ذاته ليدرك ما قصَّر فيه وما لم يقصِّر، ولينتقي الأنسب إذا تشعبث السبل، أو يوازن بينها حسب أدوارها التي وظفت لها، ولا تتحقق على نحو أفضل إلاّ بها.

والمجتمع ذو نفوذ عظيم في وضع قواعد المفاهيم المفسرة لكل مسلك منهجي، وطريقة معالجة، ويضطر البعض للتقيد والاستسلام لتلك القواعد، ولو أنها مفضولة، وتستوجب إعادة النظر والتغيير وتعويد المجتمع على ما سواها من أجل مصلحته ومصلحة مستقبله.

وبالمقارنة ببعض المجتمعات التي لها مناهجها الخاصة تتبين ملامح نتائج الأمرين المختلفين، فيسهل إذ ذاك الحكم عليهما وانتقاء الأصلح منها أو منهما حيث التجريب في كلا الحالين أفصح عن عواقبه: محاسنه ومساوئه.

ومما أجده جديراً بمحاولات التعديل أو التغيير أمور منها:

١ ــ عبارة «لا أدري» فرغم أن السلف شجعوا الخلف على الأخذ بها في حينها وقالوا «إنها نصف العلم»، إلاّ أنه لايزال بين بني يعرب من يستصعب الأخذ بها في محلها، سواء أكان طالب علم أو معلماً أو خبيراً أو مديراً أو... وذلك لتوقعه أن رد الفعل لاستعمالها الاتهام بالجهل الذي لا يقتصر على حالة معينة وكل مخلوق معرض لها، **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾** **﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾** وقد يجره ادعاء العلم بما يجهل أن يضل ويأثم ويخطيء في حق المخاطب والموضوع المطروق.

ولو تعارف المجتمع وتواصى على احترام من يقول لا أدري عندما لا يدري، وتعود على ذلك ونشّأ نشأه عليه، لصار هذا حافزاً على مزيد من العلم والاستطلاع تحاشياً لاستعمال العبارة، ولاطمأن متلقى الجواب عندما لا يكون: لا أدري، إلى أن الجواب سليم في الغالب، واثق من نفسه موثوق به على الأحرى.

٢ ــ لغة الحوار.. فإن أدب الحوار فن أضاعه الأسلوب المتدنى، والمنهج المستشيط الذي يتخذه لكننا بحاجة ماسة إلى الحوار وأدبه لأنه الجسر إلى الحقيقة.

وإن من البوادر الطيبة حوار الشيخ سلمان العوده مع كتاب الشيخ محمد الغزالي: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، فقد أسهم إسهاماً رئيساً في وضع أسس أدب الحوار، وبصرف النظر عن موطن الصواب فيما بينهما أو موطن معظمه إلا أن الشيخ العودة وبخاصة في مقدمته قد أوجد للسامع والقاريء وبخاصة الناشيء مساراً عاقلاً ناجحاً جذاباً إسلامياً يستحق الاقتداء به في لغة الحوار العلمية الأدبية الرائعة الراقية الأخوية.

٣ ــ التراجع عن الخطأ، والاعتراف به، والانصراف عنه، وقد حثّنا السلف على ذلك، لكن الاستجابة بحاجة إلى إحياء وانعاش لقد قالوا: «الرجوع إلى الحق فضيلة»، «الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل».

وإذا اعترف العالم مثلاً والمدرس بأنه أخطأ وانه يتراجع عن خطأه أوجد ذلك احتراماً وتقديراً له. وإن كان الذي يحصل هو العكس فالمطلوب هنا هو عكس العكس ليكون المبدأ احترام

المتراجع عن الخطأ، المعترِف به، وبذلك يولد الاطمئنان على أن الآراء الأخرى لذلك المتراجع لا تزال صائبة في نظره مادام لم يعلن تراجعاً عنها، وهذه هي الموضوعية في تبادل وتناقل العلم والرأي.

وهي الأمانة التي أحس بثقلها حتى ما عُهد عنه أنه أقل من الإنسان عقلاً، إن كان له عقل.

المجتمع المتطور المثقف ثقافة نافعة، الواسع الأفق والموضوعي، الطيب النوايا والمقاصد، يعترف بالخطأ إذا حصل، ولا يخشى إلاّ من الاستمرار عليه.

التوافق ــ إذا حصل ــ ينهي الحيرة والمتاهات، والرجوع إلى الحق مما يزيد نسب أو حجم التوافق، وبه تختصر مساحة المتاهات، وتتبين أكثر الجواد المتجهة إلى وجهة الهدف، ويلقي الناس الطمأنينة في وضوح الحق، فيغذ روادهم السير في مساره وسبيله ونحو غايته.

٤ ــ إفساح المجال للفكرة المشكوك فيها، والتي تردد الأقوال حولها وهي لم تشبع بحثاً وتنقيباً، ووقتئذ تلقى تجاذب الآراء والغربلة عندما تطرح للآراء العامة لتتناولها بإبراز الرؤى من

مختلف الزوايا واختلاف النظرات، وحينئذ يتميز في الأثر وبعد التعرف ما إذا كانت للاصلاح والسلامة أقرب أم هي للسوء أحرى.

الفكرة الخاطئة إذا لقيت ظهوراً ونوراً ثم لقيت تصويباً، قام تصويبها بدور إيجابي فعال في تصحيح حالها ومسارها لدى العقول التي عششت فيها وتقوقعت محدثة بها صدى لها، ولو لم تكن ظاهرة للعيان، يستثنى من ذلك ما يجمع الإجماع على سوئه ورداءته وسوء منقلبه.

٥ ــ عدم التعجل في الأحكام، والالتزام بعرضها وما تتعرض له على مرحلة الفحص والتمحيص، فكم من آراء انطباعية، وقراءات تصفحية أساءت إلى أشخاص أو كتب مع أن ما قيل مغاير للحقيقة مناقض للواقع، مستحق لما اطلقه من أحكام وصفات، وقد يقلب الأمور رأساً على عقب، مما يصعب معه استدراك أو لا يمكن، وما اشنع تخطيء الصواب.

٦ ــ وضع حد للاختلاف ولقد قالوا لنا لو سمعنا! «اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية».

فعندما تلتقي مفاهيم المجتمع على منهج في الاختلاف، لا

يدفعنا تضييقاً إلى تكلف وحدة الرأي حتى في الصغائر والفروع والأساليب المحبذ أحياناً تنوعها، ولا يدفعنا سعةً إلى عدم ادراك مسئولية الكلمة، وعدم إدراك أبعاد الشطحات والانفعالات والهذيان، عندما تلتقي مفاهيم المجتمع في شأن الاختلاف على وسطية بين بين عادلة معتدلة، فبهذا نجني من الثمرات الممكن، ونستبعد من الشوك الممكن استبعاده.

والمهم سعة الأفق، وتقبل النقد، والترفع عن بذىء الاتهام، وسفاسف الشتائم وكل الشتائم، لكن الاختلاف في حد ذاته يدعو للنظر إليه ويلح في أن يؤخذ به على أنه طبيعي في ظل الأخوة وحسن العلاقة مادام الغرض نبيلاً محموداً منشوداً، ولو تعددت الأسباب والوسائل، بل إنه لازم للتقارب والتفاهم وحسن الاختيار.

كما أن من المهم إذا أحببنا، ألاّ تكون حسنات ولا سيئات، وإذا كرهنا، فسيئات ولا حسنات، فلا يجرمنا شنآن قوم على الا نعدل، لنعدل.. فذلك أقرب للتقوى، وبذلك تقوى الأواصر، وتصفو النوايا حتى مع الاختلاف الداخل في إطار نشدان الحقيقة، وتتعانق القلوب وتلك لذة الحياة.

٧ ــ ومما يحقق كثيراً من الأهداف المرجوه الآخذة بأيدي المجتمع إلى الرفعة التواضع لدى كبير المقام عالماً أو مديراً أو مدرساً، إن التواضع المتكلف سريع التعري، شفاف اللباس و«الطبع يغلب التطبع فيه» لكن التواضع الناجم عن مبدأ منغرس في أعماق النفس هو سبيل جمع مكارم الأخلاق وستر العيوب. والكبرياء لله، لذا فالكبرياء تفسد مختلف المحاسن إذا اتصف بها المخلوق، والكبرياء على المتكبر من الخلْق تواضع.

إن التغير في الزمن، وفي المؤثرات المحيطة يدعوان إلى تغير معهما وملاحقة في انتقاء أساليب التفاهم والعلاقات والتواصل والعرض والمداولات الفكرية وانتهاج النهج الأمثل، وطرق الالتقاء وليس ذلك محتِّماً التغيير في المضامين.

بل إن لم يتغير المنهج مع الأحوال فقد تتأثر المضامين بأسلوب المعالجة، وقد تأتي الجرعات غير كافية، أو تأتي متجاوزة لحدودها المفيدة المنشودة.

٨ ــ أن يبعد المرء تصور قدرته الفائقة على إشباع كل موضوع يطرقه حتى ولو كان الموضوع اختصاصياً علمياً يتطلب دراسة ومهارة، وهذا لا يعني الاقتصار على منهج اختصاصي ضيق جداً فرعي مقيِّد، ولكن المراد أن يضع الطارق

طبيعة موضوعه مع قدراته ومدى سعة اطلاعه فيه وادراكه له على المحك قبل الاقدام.

وبتعبير آخر، تحسن دراسة ما سينتج عن طرق الطارق للموضوع قبل الفعل، ليدرك انه سيضيف إضافة ذات فحوى وجدوى.

٩ ــ رأب الصدع بين القول والفعل، والنصح والسلوك، فحسن التنظير يتوقف إلى حد فعال مؤثر على حسن التدبير.

قطوف من حروف

«إن الدين لا يقود الناس بالسلاسل إلى الطاعات إنما يقودهم بالتقوى، والذي يفلت من أداء الفريضة تحت ستار الرخصة لا خير فيه منذ البدء، لأن الغاية الأولى من أداء الفريضة لا تتحقق، وهذا الدين دين الله لا دين الناس».

سيد قطب /عن رسالة الجامعة العدد ٤٠١.

٢٩ /١٠ /١٤٠٩هـ.

لوازم الآن:

أكثر من جهة يمكن أن تتبنى الموضوع التالي متعاونة، كما يمكن أن تقوم به جهة ما لوحدها، والجهات التي تمر بالذهن لارتباطها به وصلتها بعلاقته هي أو منها:

الجامعات، جمعية الثقافة والفنون، النوادي الأدبية، المجلات، مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، مكتبة الملك فهد، مكتبة الملك عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز، مجلس التعاون الخليجي، مكتب التربية العربي، والموضوع معروض على ذوي الفكر والأدب والبحث والرأي، وعلى المؤسسات الثقافية التي تتحمل تاريخياً مسئولية عدم الالتزام بما يلزم.

● أما الموضوع ذاته، فهو ناجم عن حاجة المثقف الماسة قارئاً أو باحثاً، كاتباً أو مدرساً، إلى مزيد من فهرسة الكتب بمختلف أنواع الفهرسة مثل:

فهرس المحتويات، والاعلام، والآيات، والأحاديث، وأبيات الشعر والأماكن، والمواقع الحربية، والتواريخ وما تعنيه من أحداث

وغير ذلك. وان كثيراً من الكتب، وبالذات أمهاتها تضني القاريء والباحث، وتضيع وقته بدون جدوى ولا نتيجة أحياناً، وذلك لفقدان صنوف الفهرسة اللازمة، والتي للأستاذ د. محمد مصطفى الأعظمي فضل فيها، لكنها تحتاج إلى توسع وشمول، وصارت في عداد الضروريات إن كانت يوماً ما في عداد الكماليات.

ومما له صلة بسابقه، وإن تفرع عنه لأهميته هو إيجاد موسوعة شعرية عربية شاملة كُبرى تصنف حسب:

١. القوافي.
٢. أوائل الأبيات ــ وهذا يأتي متأخراً.
٣. العصور: الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي، الدويلات والتخلف، عصر النهضة أو العصر الحديث.
٤. الشعراء.

وبذلك لا يخطر على بال قاريء أو باحث بيت شعر يبحث عن قائله، وصحته، وما معه من الأبيات إلاّ وجده في هذه الموسوعة، إن كتاب الشوارد للأستاذ عبدالله بن خميس نواة طيبة، لكن المراد أشمل وأوسع وأعم.

لو وزعت النوادي الأدبية حروف القوافي بينها، وتعهد كل نادي بالعمل الجاد المجتهد الدقيق المتكامل لإيجاد مثل هذه الموسوعة، ومتابعة الاصدارات المستلحقة لها، لأدت النوادي الأدبية دوراً متوقعاً منها أن تقوم به لأنه من أهم أدوارها، ولو تبنى العمل جهة أخرى ذات صلة لحازت قصب السبق التاريخي العظيم الباقي ما بقيت الدنيا.

وإن في الجامعات طلبة علم مختصين في الأدب واللغة والبحث والشعر بالذات، وان من بين المتقاعدين شعراء لعل ظروفهم تسمح بالاستفادة منهم في هذا الشأن أمثال: عبدالعزيز الرفاعي ومقبل العيسى، وأحمد سالم باعطب، ومحمد المشعان، وغيرهم من ذوي الذوق الشعري الرفيع. هل تتحقق الأمنية، تلك أمنية الثقافة وهي لازبة وملحة، وما أصعب تصور جميع أبعاد منافعها.

● والكلمات التاريخية المشهورة مثل: «كلمة حق أريد بها باطل» و«الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا»، والمصطلحات الأصولية الفقهية مثل «العادة محكمة» «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» وما إلى ذلك تحتاج إلى موسوعة أيضاً. فالمراجع الميسرة صارت ضرورة ثقافية، والمصطلحات الأدبية والعلمية أيضاً تطالب بالمساواة بما ذكر.

قطوف من حروف

أختاه..!! هل ترجين مني بسمة ... وانا أعيش مع السنا في غيهب

أنا إن أكن متجهما.. فلأنني ... في غربة.. من دهري المتقلب

ماذا أرى..؟ دنياي كهف مشاعر ... شرقت بكل ضغينة وتحزب

بجحودها يشقى الكريم وطالما ... جادت بماء حيائها للمذنب

أختاه مدّ لي السراب يمينه ... فلطمتها، رغم الظما، لم أشرب

ثُبت يدي إن لامست لي صبوة ... يمناي.. أو قتل الظما لي مذهبي

لي من صفات المؤمنين شمائل ... لسوى طريق الحق لم تتعصب

فالزيف عند تقرب لم اقترف ... والحرف عند تملق لم أصلب

يكفي الضمير الحر ياأخت الشذى ... أنـــي يد.. لم تدم جبهـــــة كوكب

نفح الشذى طبع الكريم فكفه ... لا يقتفي طبع الأذى والمخلب

قصائد من مقبل العيسى «المكتبة الصغيرة»

قال الشاعر :

والاخاء الحق والحب الذي وحّد الخطو لخير الموكب

...

من مهبط الاسراء في المسجد من حرم القدس الطهور الندى
أسمعُ في ركن الأسى [صرخة] تهتف بالنجدة للسيد
وأشهد الأعداء قد أحرقوا ركنا مشت فيه خطى أحمد
وأبصر الأحجار محزونة تقول وا قدساه يامعتدي
لن يطلع الفجر على ظالم مستغرق في حقده الأسود
سترجع الأرض إلى أهلها محفوفة بالمجد والسؤدد
والمسجد الأقصى إلى ربه ملتجئاً بالرّكع السجّد
ستشرق الشمس على امة لغير وجه الله لم تسجد.

.....

أمة علمها حب السماء كيف تبني ثم تعلو بالبناء
يد توسع في أرزاقها ويد تدفع كيد الاشقياء
سادت الأيام لمّا آمنت أنّ بالايمان يسمو الأقوياء
فإذا استشهد منهم بطل كانت الجنة وعد الشهداء

لننتقل من الشعر إلى أحد محلات التسجيلات الإسلامية ولنسمع خطبة جمعة من إمام المسجد الأقصى الذي بُحّ صوته مستنهضاً، فهل الحقائق لا تصل إلى المسلمين، أم أنهم لم يحاولوا أنفسهم أن يصلوا إليها؟ اسمعوا فضيلة الامام اسمعوا بعض ما عنده، ثم ليسأل كل منا نفسه قبل أن يسأل غيره بكل صيغ الاستفهام المتواردة المتواجدة.

النثر والشعر:

- «فالقائلون بتفضيل الشعر يعللون له بصعوبة المرتقى التي يعجز عندها أكثر الناثرين لما قيد به من شروط وجوازم يقف عندها الواقف، وبأثره المطرب الذي يطرد الأحزان ويبعث الهمم، وبسرعة حفظه وسعة مجازه وإبداع لفظه، وبوجوده في العجم والعرب.. وأن ذلك بخلاف النثر الذي هو حمى مستباح، وطريق مسلوك يستوي فيه الطيع والآبق»[1].

- «والقائلون بتفضيل النثر يتذرعون بيسر مسلكه المطلق من القوافي الذي جعله مُعَبّراً عن المسالك والممالك وشتى العلوم بحجة وبرهان؛ وببلاغة ألفاظه التي تزين بها المواثيق والعهود والاخبار، وبأثره الذي تلين له القلوب القاسية وتستعطف، ويستدني به القاصي، وينقاد العاصي، وهو معيار البلاغة والفصاحة ومسبار الركانة والرجاحة، والشاهد في ذلك بديع الزمان الذي فخر بنثره مع بديع نظمه وشعره، وأعظم من ذلك أنه من معجزات خير البرية»[2].

(١) المقامات اللزومية للسرقسطي ص ١٢٠.

(٢) المقامات اللزومية للسرقسطي ص ١٢٢.

● **سمعت هذه الأسطورة :**

قالت العين: انى أرى الجبل، فقالت الأذن: أنت واهمة إني لا أسمعه، فقال الأنف: أين الجبل اني لا أشمه؟ وقالت اليد: هاأنذا أتلمس ولا ألمسه أين هو؟ إنه لا وجود له.

ثم عقد اجتماع بين الأنف والأذن واليد فقرروا ما يلي في نهاية الاجتماع : إن العين قد جانبت الصواب.

والسلام عليكم

كتب للمؤلف

١ ــ ما استطعت. عن التربية والمجتمع ــ دار العلوم بالرياض.
٢ ــ الرأي ماترون. عن التربية والمجتمع ــ مكتبة الخريجي بالرياض.
٣ ــ العقلية الإسلامية وفكرة المولد ــ مكتبة الخريجي بالرياض.
٤ ــ قبيلة آدم، رأى اجتماعي في القبلية والزواج ــ مؤسسة الجريسي بالرياض.
٥ ــ إلى من يقرأ عن التربية والمجتمع ــ مؤسسة الجريسي بالرياض.
٦ ــ كلام في زمنه عن التربية والمجتمع ــ مؤسسة الجريسي بالرياض.
٧ ــ الشعر والشعور، مسكون بالتسطيح في تكوين الاستبطان ــ مؤسسة الجريسي بالرياض.
٨ ــ تعلو التلال بقارب. شعر ــ مؤسسة الجريسي بالرياض.
٩ ــ الربا والبنوك في المجتمع الإسلامي في طريقه للنشر.
١٠ ــ صلاة تنهى ــ مؤسسة الجريسي بالرياض.
١١ ــ القراءة أو الانصات للمأموم في الصلاة، مع التعريج على أمور أخرى. مؤسسة الجريسي بالرياض.

وأبحاث أخرى لم تنشر بعد.

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣

• الرقم التسلسلي يكتب على العيسى في ملفات:
PDF

ما استطعت = PDF 31

الرأي ما تردد = PDF 32

العقلية الإسلامية وفكرة المولد PDF 33

قبيلة آدم = PDF 34

إلى متى يقرأ عن التربية والمجتمع = PDF 35

كلام في زمن عن التربية والمجتمع = PDF 36

الشعر والشعور = PDF 37

تعلو المدارك بقارب / شعر = PDF 38

صورة تروى = PDF 39

حوار مع الأفكار = PDF 40

القراءة أو الإنصات للأمور في الصلاة = PDF 41

صمت يملأه قول، محاورة مع قضايا معاصرة = PDF 42

التمثيل تمثيل، فلماذا التمثيل؟ = PDF 43

نكتة.. حول أسماء شركات الطحن = PDF 44

حديث الصمت / شعر = PDF 45

ليت تدري = PDF 46

الإبداع.. شائع أم ضائع؟ = PDF 47

ليت شعري / شعر = PDF 48

قليل مما قل = PDF 49

منه إليه وإلى أبيه / عن اللغة العربية = PDF 50

كتب للمؤلف / علي العيسى

" ما قرأ منه تصفح "

١- ما استطعت / عن التربية والمجتمع .
٢- الرأي ماترون / عن التربية والمجتمع .
٣- العقلية الإسلامية وفكرة المولد .
٤- قبيلة آدم .عن القبلية والزواج من الخارج.
٥- إلى من يقرأ / عن التربية والمجتمع .
٦- كلام في زمنه / عن التربية والمجتمع.
٧- الشعر والشعور/ مسكون بالتسطيح في تكوين الاستبطان .
٨- تعلو التلال بقارب / شعر.
٩- صلاة تنهى / تربية اجتماعية .
١٠- حوار مع الأفكار.
١١- القراءة والإنصات للمأموم في الصلاة .
١٢- مما يمكن قوله / محاورة مع قضايا معاصرة .
١٣- التمثيل تمثيل ، فلماذا التمثيل ؟
١٤- مفاهمة حول أسهم شركات المساهمة .
١٥- حديث الصمت / شعر.
١٦- ليت نثري .
١٧- الإبداع . . شاع أم ضاع.
١٨- ليت شعري / شعر.
١٩- قليل مما قل/ عن التربية والمجتمع .
٢٠- الموقف من الربا يحدد نوعية المجتمع .

كتب مسودتها جاهزة للطباعة

٢١- من أين و إلى أين ؟ محاورة عن مناهج اللغة العربية.
٢٢- قراءة و رؤية / دراسة لرسائل متبادلة بين مفكرين من العرب والغرب.
٢٣- في الدائرة و خارجها / محاولات لمعالجة آلام التمزق والتفرق.
٢٤- أي إسلام نعنيه/ملخصات ميسرة لجوانب الإسلام، لاستبعاد ما يدعيه للإساءة إليه جهلاً أوقصداً.
٢٥- شعر من الأعماق .
٢٦- المرأة قميص عثمان ..وغيره من القمصان.
٢٧- شاعر شاعرة (شعر)